الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشّعبية

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد بن يحي الونشريسي تيسمسيلت

كليّة الآداب واللّغات

قسم اللّغة والأدب العربي

مذكّرة مقدّمة ضمن متطلّبات نيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي

تخصّص أدب عربي قديم، موسومة ب:

دراسة كتاب "تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتّى عصر بني أميّة"

لمُؤلِّفِه: كارلو نالينّو

إعداد الطّالب:

عسّوس إسماعيل

إشراف الأستاذ:

د/عطّار خالد

أعضاء لجنة المناقشة:

د/ يعقوبي قداوية	رئيساً
د/ عطّار خالد	مشرفاً ومقرّراً
د/ دعنون آسية	عضوا مناقشاً

الموسم الجامعي: 2020م/2021م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وفقنا في دراستنا و بلوغ غايتنا لإنجاز هذا العمل المتواضع

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ» (حديث صحيح رواه أحمد وأبو داود والبخاري).

أشكر كل من ساهم في إعداد هذا العمل من قريب أو بعيد، خاصاً بالذّكر:

الأستاذ عطّار خالد والذي تفضّل بالإشراف عليه.

إهداء

إلى الوالدين الكريمين

أطال اللّه عمرهما

إلى كلّ من أحبّ

إسماعيل

البطاقة الفنّية
للكتاب

البطاقة الفنّية للكتاب:

المؤلّف	كارلو ألفونسو نالينو
الكتاب	تاريخ الآداب العربيّة من الجاهليّة حتّى عصر بني أميّة
دار النّشر	دار المعارف
بلد النّشر	القاهرة، مصر
الطّبعة	الثّانيّة
سنة النّشر	1954م
عدد الصّفحات	291 صفحة
حجم الكتاب	متوسّط

واجهة الكتاب:

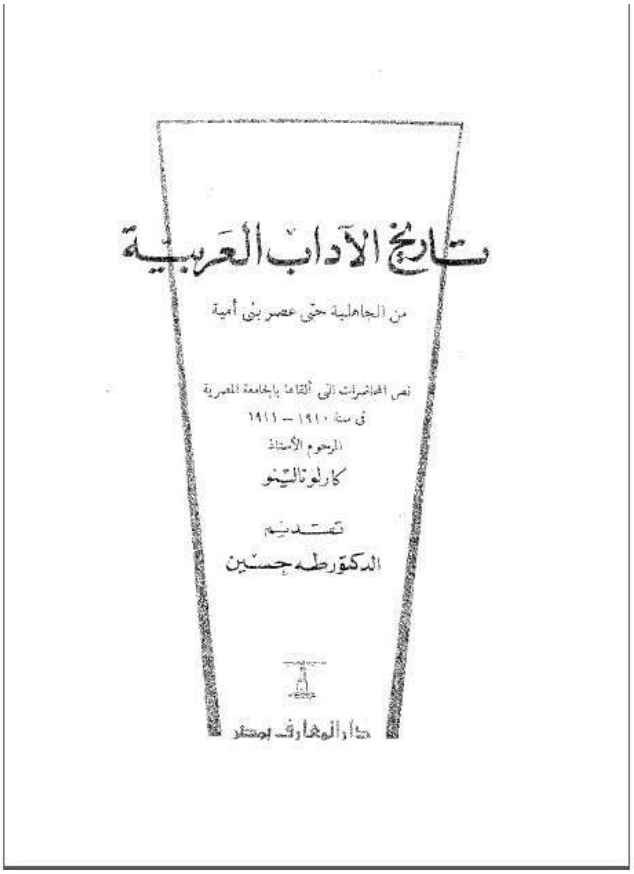

سّيرة المؤلّف:

كارلو ألفونسو نَالِّينُو (1288 – 1357 هـ / 1872 – 1938 م): مستشرق إيطالي، ولد بمدينة تورينو سنة 1872م، أتمّ دراسته بمدينة أودِينِه، كان ممتازا ومتفوّقا في دراسته، شغوفا بدراسة اللّغات الأجنبية وتقويم البلدان ووصف الأرض، لقد دخل "نالينو" إلى جامعة "تورينو" حيث فيها تتلمذ على يد المستشرق "إيتالو بيتسي"، وهنا بالجامعة تخصّص بالجغرافية الريّاضية للجزيرة العربية، ومنه انتقل شغفه إلى اللّغة العربية وآدابها، فانكبّ على دراسة الأدب العربي.

دعت الجامعة المصرية "نالينو" إلى التدريس بها، فقام بتدريس "تاريخ الفلك عند العرب" إضافة إلى "تاريخ الآداب العربية"، والتي حوّلت لاحقا إلى كتب طبعت بالعبرية "تاريخ علم الفلك عند العرب" (روما – 1911 م)، كما طبعت محاضراته عن "تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية" بعد وفاته.

صورة المؤلّف:

كارلو ألفونسو نالينو

مقدّمة

مقدّمة:

لا شكّ أنّ التّراث العربي هو ثروة كبيرة من الآداب والقيم والعادات والتقاليد والمعارف الشعبية والثقافة المادية، والأدب العربي بشقّيه الشّعر والنّثر، وباعتباره جزءا من هذا التّراث فهو علم يدرّس الآن في الكثير من الجامعات والمعاهد الأجنبية والعربية، وقد كان الاهتمام به من الأولويات التي انكبّ عليها الباحثون، عرباً ومستشرقين، دراسة وتحليلا.

إنّ دراستنا لهذا الكتاب الموسوم ب: "تاريخ الآداب العربيّة من الجاهليّة حتّى عصر بني أميّة"، للمستشرق الإيطالي "كارلو نالينو" جهد متواضع ننشد من خلاله تقديم صورة بسيطة لإحدى الدّراسات الاستشراقية التّي تتّخذ من التّراث العربي ميدانا للبحث والاستقصاء، وقد وقع اختيارنا على أحد الأكاديميين الإيطاليين الذين اعتمد على مناهج علمية حديثة، واشتغل على دراسة مصادر التّراث العربي ووصفها وتحليلها.

لذلك أجد نفسي منساقا ومنقادا لهذه الدّراسة، يشدّني إليها أوّلا حب الاطّلاع والسّؤال عن الأدوات والإجراءات التّحليلية للمناهج العلمية التي اعتمدها المستشرقون عامّة، وبشكل خاص الأستاذ "كارلو نالينو" الذي كان علامة بارزة في مجال دراسة تاريخ علم الفلك عند العرب والمسلمين، فضلاً عن دوره الكبير في تأصيل المناهج الحديثة في درس الأدب العربي خلال تدريسه بالجامعة المصرية الأهلية.

وقد كان الهدف الذي أردته من دراسة هذا المؤلَّف في الأصل هي تقديم نظرة متواضعة لجهود الدّراسات والأبحاث الاستشراقية التي تُعنى بالتّراث العربي، ومحاولة منّا لتوضيح الآليات التي اعتمدها الأستاذ "نالينو" في تأصيل المنهج الغربي العلمي الحديث في درس التّراث العربي، وتحليلا للمصادر التي اعتمدها ومدى موثوقيتها، إضافة إلى مناقشة الآراء التي قدّمها ناقدا فيها لطروحات أئمّة التّراث العربي، ومقارنتها بآراء الأساتذة والباحثين العرب.

إن هذا العرض يدفعنا إلى التّساؤل وطلب المزيد من المعرفة حول الدّور الذي لعبه المستشرق الإيطالي "نالينو" في تأصيل المنهج العلمي في نقد التّراث العربي، والتّساؤل أيضا عن مدى تقبّل المثقّفين والنّقاد العرب للمناهج الغربية الحديثة.

لا يَسعُنا هنا سوى أن نَتَساءل حول ما مدى مساهمة المستشرق "نالينو" في توجيه الدّراسة النّقدية للتّراث العربي؟، وممّا نعلمه أنّ للمستشرق "نالينو" تأثير على الدّراسات النّقدية المؤرّخة للتّاريخ العربي، فكيف يتمّ تقييم هذا الجهد الذي بذله في سبيل تطبيق المنهج العلمي في دراسة الأدب العربي من قِبَل الباحثين والنّقاد العرب؟.

كلُّ هذه الأسئلة، وأخرى حاولنا الإجابة عنها، عبر فصلي البحث، إضافة إلى مدخل العمل وخاتِمته تطرقت فيها لأهمّ نتائج هذا العمل المتواضع.

لقد بدأت عملي المتواضع هذا بمدخل عنونته ب "المنهج التّاريخي في دراسة الأدب العربي"، والذي ارتأيت فيه أن أحيط بعتبات هذه الدّراسة التي قدّمها "كارلو نالينو"، عن طريق تقديم مفاهيم عامّة حول المنهج التّاريخي وآلياته الإجرائية واتّجاهاته.

جاء الفصل الأول بعنوان (الآداب العربية في عصر الجاهليّة وصدر الإسلام)، والذي تطرّقت فيه إلى تلخيص الأبواب الثلاثة الأولى من الكتاب، والتي كان ترتيبها على النّحو الآتي: لفظة أدب بين المعنى الأصلي والمعاني المتعدّدة، الآداب العربية في عصر الجاهلية، الآداب العربية في عصر صدر الإسلام والخلافة الرّاشدة، وقد ضمّنت بين طياته دراسة، حيث استعرضت فيها آراء الباحثين العرب حول أهمّ ما وقف عليه المؤلّف من الآراء حول ما تشير إليه عناوين الأبواب هذا الكتاب.

أمّا الفصل الثّاني فقد خصصته لدراسة الباب الرّابع والأخير الذي تطرّق من خلاله الباحث إلى وصف الآداب في عصر بني أميّة، وقد كان في ذلك أيضا استعراض لآراء النّقاد العرب المحدثين، حول القضايا الأدبية المهمّة التي عالجها "نالينو" في هذا الباب.

ختمت عملي المتواضع هذا بخاتمة، والتي ذكرت فيها أهمَّ النتائج التي توصّلت إليها من خلال هذه الدّراسة المتواضعة.

يحتكم منطق الدّراسة التي لجأت إليها إلى المنهج الوصفي الذي يناسب التّلخيص، وتعتمد الدّراسة أيضا على آليات المنهج الوصفي التّحليلي، أثناء محاولتي استجلاء مختلف الآليات والأدوات التي اتّبعها المؤلّف في إرساء المنهج التّاريخي الذي اعتمده الكاتب في دراسة الأدب العربي في الفترة التي حدّدها.

لقد ألفيت في عملي هذا أشدّ ما يضطلع به طالب في هذا الطّور نظرا لصعوبة استجلاء النّقاط المضيئة لمنهج المؤلّف في دراسة الأدب العربي.

ختاما، إذا كان لا بد من شكر فهو لأستاذي الكريم "عطّار خالد" الذي يُعزى له الفضل أيضا في إنجاز هذا البحث، فقد كان نِعم المُشرف والدّارس والمنقّح لهذا العمل، فله جزيل الشّكر والامتنان وصادق العرفان، وأشكره كذلك على تحمله مشاق متابعة هذا البحث عبر مراحله، وعلى حرصه الشّديد على أن ينال البحث أهداف المرجوة، كما أشكره على توجيهاته وملاحظاته التي كان لها الأثر الإيجابي في البحث، فأسأل الله تعالى أن يجازيه عني خير الجزاء، كما أتقدّم بالشكر الجزيل إلى الأساتذة الكرام الذين أعانوني بالنصائح والتوجيهات خلال مساري التّعليمي وإعدادي لهذا البحث، أخصّ بالذّكر أساتذة قسم اللغة العربية بجامعة "أحمد بن يحي الونشريسي، تيسمسيلت"، دون أن أنسى أهلي الذين كانوا معي قلبا وقالبا في إعداد هذا البحث، فلهم من الله كريم الجزاء والعطاء.

عسّوس إسماعيل

تيسمسيلت، 10 جوان 2021م.

مدخل

لقد ارتأيت قبل أن أبدأ في هذه الدّراسة أن أستهلّها بدراسة العتبات التي تنتمي إليها، وأقصد بذلك حقل الدّراسات النّقدية التي تؤرّخ للأدب بصفة عامّة وللأدب العربي بصفة خاصّة، إضافة إلى الدّراسات السّابقة التي تناولت هذا الموضوع.

الأدب والتّاريخ:

الأدب هو كلّ إنشاء تخييلي ذو صيغة جمالية، ويعرّف أيضا بأنّه شكل من أشكال التّعبير الإبداعية الإنسانية، والتي تتّخذ من اللّغة أداةً لها في التّعبير عن الأفكار والعواطف والأحاسيس وما يختلج النّفس بصورة فنّية إبداعية.

لقد تشكّل لدينا تيّاران باحثان في الأصول المعجمية للفظة (أَدَب)، في مقابل تيّار الدّراسات المعجمية التّراثية العربية ظهر تيّار أصل الكلمة في المعاجم الاستشراقية، ولا بأس من أن نذكر باختصار ما أشار إليه الطّرفان أثناء بحثهما عن الأصول المعجمية للّفظة.

أ/ الأدب في التّراث المعجمي:

لفظة «أَدَب» في التّراث مرتبطة بالفعل الثلاثي بالفعل الثلاثي "أَدَبَ" وهو "اسم مصدر"، لأن المصدر من أَدَبَ هو أَدْب (بالدّال الساكنة) ومنه المأدبة بمعنى "دعوة إلى الطعام"، وفي تعريف "الخليل بن أحمد الفراهيدي"[1]: "**الدَّؤُوب المبالغة في السَّير، وأدْأَب الرّجل الدَّابة إدْآباً إذا أَتْعَبَهَا، والفعل اللّازم دَأَبَت الدَّابة تَدْأَبُ دُؤُوباً، وقوله تعالى ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ (آل عمران 11)، أي كعادتهم وحالهم**"، ثمّ يقول: "**رجلٌ أَدِيبٌ ومُؤَدَّبٌ يُؤَدِّبُ غيره ويَتَأَدَّبُ بغيره، والآدِبُ صاحب المَأْدُبَة، وقد أَدَبَ القوم أدْباً، وأَدَبْتُ**

[1] **الخليل بن أحمد الفراهيدي**، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مادة (دءب)، ص85.

أنا، والمأدُوبَة: المرأة التي صُنِع لَها الصَّنِيعُ، والمَأْدُبَة والمَأْدَبَة، لغتان: دَعْوَةٌ على الطَّعام"[1].

وقد تحوّلت لفظة "أدب" من المعنى الأوّل المذكور سابقا وهو "الدّعوة إلى المأدبة أو الطّعام" إلى معانٍ لاحقة مختلفة عن طريق صرف اللّفظ عن معناه الحقيقي إلى المجاز، وهو نفس ما أورده "ابن منظور" في قاموسه الشّهير "لسان العرب" فيقول: "**سُمِّيَ أدبًا لأنَّه يَأْدُب النَّاس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح، وأصل الأدب الدعاء"[2].**

أمّا الأدب عند ابن فارس وتلميذه ابن عبّاد فارتبطت اللّفظة "أَدَب" باللّفظة "إِدْب" والتي معناها "عَجَب"، حيث يقول "**فإذا كان من الأدب الذي هو العجب فكأنه الشيء الذي يعجب منه لحسنه ولأن صاحبه الرجل الذي يعجب منه لفضله"[3].**

وقد كرّر "ابن منظور" هذا وأخذه عنه "عبد القادر البغدادي"، ثمّ في الأخير اقتبسه المستشرق "كارلو نالينو" كما سنراه في الباب الأوّل.

وقد أضاف "الجواليقي" إلى التَّعاريف السّابقة الذكر تعريفين اثنين، حيث يقول[4]: "**والأدب الذي كانت العرب تعرفه هو ما يحسن من الأخلاق وفعل المكارم مثل ترك السفه وبذل المجهود وحسن اللقاء**"، ويضيف أيضا: "**واصطلح الناس بعد الإسلام بمدّة طويلة على أن يسمّوا العالم بالنحو والشعر وعلوم العرب أديبًا ويسمّون هذه العلوم الأدب وذلك كلام مولّد لأنّ هذه العلوم حدثت في الإسلام"[5].**

---

[1] **الخليل بن أحمد الفراهيدي**، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مادة (أدب)، ص85.

[2] **ابن منظور**، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة (أدب)، ص206.

[3] **موهوب الجواليقي**، شرح أدب الكاتب، تح: طيبة حمد بودي، قسم اللّغة العربية، كليّة الآداب، جامعة الكويت، ط1، 1995م، ص07.

[4] **موهوب الجواليقي**، شرح أدب الكاتب، ص6-7.

[5] **موهوب الجواليقي**، شرح أدب الكاتب، ص7.

ب/الأدب في المعاجم الاستشراقية:

تنفي الدّراسات المعجمية الاستشراقية ما أوردته المعاجم العربية حول كون أصل كلمة الأَدَب هو حصيلة صرف المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي.

وقد جاءت هذه الدّراسات بمعنى آخر قائم على الملاحظة، ونقصد هنا دراسة المستشرق الألماني "كارل فولرس karl vollers (1857م-1909م)، فقد رأى بأنّ لفظة "أَدَب" كانت تستخدم قبل الإسلام كمفرد لكلمة "آدَاب" التي مفردها الأوّل "دَأَبَ" بمعنى "العادة" أو اتّباع الطريقة أو السّيرة أو الامتثال بالعرف المعهود، ولفظة "آداب" التي أصلها "أدآب" التي تحوّلت لعلّة صوتية إلى آداب"، وبعد ذلك أُدرجت اللّفظة "أدَبٌ" في باب الجذر "أ د ب" ليشهد تطوّره الخاصّ، فنتج عن ذلك أن "آداب" بدت وكأنها جمع "أدب" في حين أنّ "أدب" هو الذي أُخِذ من الجمع «آداب".

يمكن البرهنة على هذا من خلال النّظام الصّرفي والصّوتي للّغة العربيّة، فقد تكون الكلمة جمعا للمفردتين، لأّن الجذرين "د أ ب" و "أ د ب" مهموزان أوّلا، ويمكن أن يتحوّل أحدهما إلى الآخر عن طريق القلب المكاني ثانيا.

تحوّلت هذه الدّراسة عند "نالينو" وتطوّرت ليصبح بذلك أوّل من قدّم دراسة مفصّلة في لفظة أدب وتاريخها، ولم تثر دراسة هذا الأخير التي قدّمها باللغة العربية في القاهرة سنة 1930، ثم طبعت باللغة الإيطالية سنة 1948 وترجمت إلى الفرنسية سنة 1950، إلاّ القليل من الاعتراض.

أمّا التاريخ فكما يعرّفه ابن خلدون فهو "**في ظاهره لا يزيد عن أخبار عن الأيام والدول، والسّوابق من القرون الأُولى تنمو فيها الأقوال، وتضرب فيها الأمثال، وتطرف فيها الأندية إذا غصَّها الاحتفال، وتؤدّي شأن الخليقة كيف تقلّبت بها الأحوال**"[1].

العلاقة التاريخ بالأدب:

إنّ العلاقة بين التّاريخ والأدب هي علاقة وثيقة، فرعان من أصل واحد، فالأوّل يعتمد الحقيقة والوثيقة، والآخر يعتمد على التّخييل، كوسيلة عن التّعبير، يقول ابن خلدون عن الأدب بأنّ: "**هذا العلم لا موضوع له، ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها، وإنّما المقصود منه عند أهل اللّسان ثمرته، وهي الإجادة في فنّي المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم**"[2]، ويندرج ضمنه فن الشّعر وفن السّجع ومسائل من اللّغة والنّحو وأيّام العرب وأخبارهم وأنسابهم، ولعلّ هذا ما يربط بين الاثنين، وفي موضع آخر يقول بأنّ "**التاريخ في باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومباديها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير أن يعدّ في علومها وخليق يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم**"[3].

المنهج التاريخي في النّقد الأدبي:

لقد تغيّر مفهوم النّقد الأدبي في العصر الحديث من حيث الوظيفة والأسلوب والأهداف، فبعدما كان يركّز النّقد الأدبي الكلاسيكي على الأثر الأدبي بحدّ ذاته، ظهر هذا المفهوم الجديد في النّقد الحديث الذي لا يميّز الأثر الأدبي للنّصوص الإبداعية بالقيم الفنّية والجمالية فقط، بل يتعدّاه إلى كونه نشاط فكري، أي تحوّل الاهتمام من الموضوع

[1] **ابن خلدون**، المقدمة، تح: محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط1، 2004م، ص81.
[2] **ابن خلدون**، تاريخ ابن خلدون، تح: محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط1، 2004م، ج1، ص553.
[3] **ابن خلدون**، المقدمة، ص92.

نفسه إلى كلّ ما يحيط بالموضوع، ومع التّركيز على الظّروف والسّياقات الخارجية التي نتج عنها هذا النّص الأدبي.

لقد ظهرت نتيجة لذلك عدّة مدارس نقدية درست الإنتاج الأدبي، اعتمدت في مجملها على أسس فلسفية، وقد تمخّضت عنها فيما بعد ظهور مناهج نقدية حديثة، اعتبرت حجر الأساس في النّقد الحديث، ومن هذه المناهج نجد: المنهج التّاريخي الذي ركّز روّاده اهتمامهم على السّياقات الزّمنية للنّصوص، وعلى منتجي العمل الأدبي أيضا، بعيدا عن كلّ المعايير الكلاسيكية، ومن روّاد هذا المنهج ثلاثة أعلام مشهورين: فرديناند برونتيير، سانت بيف، هيبوليت تين.

مرجعيات منهج التّاريخ الأدبي:

تعدّ الفلسفة الوضعية شكلا مغايرا من الفلسفة التّجريبية وهي السّند الأوّل لمدرسة النّقد التّاريخي، وتتميّز هذه الفلسفة برفضها لكلّ ما هو ميتافيزيقي، واهتمامها بقواعد الحياة والمجتمع، ليس هذا فقط، بل قام روّادها بتطبيق هذا على الدّراسات الأدبية، فأخضعوا الأدب لقوانين تضبطه كقوانين الطبيعة، لهذا صار لزاما عليهم أن يبحثوا في كلّ النّظم الاجتماعية والسيّاسية والتّاريخية والدّينية التي من شأنها أن تؤثّر في منتج الأدب أو المبدع، وقد جاءت أحكامهم على الأدب علمية تنبني على تفسير مادّي محض.

لقد أنكر النّقاد التّجريبيون الذّوق وكلّ ما يتّصل به من أحكام كلاسيكية كانت معروفة في مجال الأدب، ومضوا في دراستهم للأدب، دراسة علمية تجريبية، أُفرزت خلالها ثلاثة توجّهات رئيسة في الدّراسة التّاريخية للأدب، وهي:

أ_ شارل أوجستان سانت بوف Charles Augustin Sainte-Beuve (1804م-1869م):

لقد آمن "بيف" أنّ الأدب ليست إلّا مرآة عاكسة للفرد، وأنّ النّص ما هو إلّا تعبير عن مزاج فرديّ، لهذا فدراسة الأدباء عنده هي "**دراسة علمية تقوم على بحوث تفصيلية لعلاقاتهم بأوطانهم، وأممهم وعصورهم وآبائهم وأمهاتهم وأسرهم وتربياتهم وأمزجتهم وثقافاتهم وتكويناتهم المادّية الجسمية وخواصّهم النّفسية والعقلية وعلاقاتهم بأصدقائهم ومعارفهم، مع التّعرف على كلّ ما يتّصل بهم من عادات وأفكار ومبادئ**"[1]، والغاية من كلّ هذا إضاءة النّقاط المعتّمة في حياة الأدباء، فإن تمّ "**كشف ذلك كلّه في الأديب أمكن للمؤرّخ الأدبي أن يميّز فيه بين الفردي الذّاتيّ والجماعي المشترك بينه وبين من على شاكلته بين أدباء عصره**"، ثمّ بعد هذا يقوم بتحديد القواسم المشتركة بين الأديب وغيره من الأدباء، ويقوم بعدها النّاقد بوضع الأديب في فصيلته الأدبية، و "**ما الأدباء في رأيه إلّا فصائل كفصائل النّبات والحيوان، فصائل تتشكّل حسب ما يقع عليها من مؤثّرات خارجية، أو قلّ حسب ما تنتظم فيه من صفات وخصائص بالضّبط على نحو ما تتشكّل فصائل الحيوان والنّبات في العلوم الطّبيعية**"[2]، إذن فالهدف الأساس عنده هو البحث عن القاسم المشترك بين الأدب المبحوث فيه وبين بقيّة الأدباء، كي يصنّف بعد ذلك ضمن الفصيلة المناسبة، مصطنعا لنفسه نظريتهم المعروفة ب "**التّاريخ الطّبيعي لفصائل الفكر**".

[1] **شوقي ضيف**، البحث الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط7، 1972م، ص86.

[2] **شوقي ضيف**، البحث الأدبي، ص86.

ب_ هيبوليت أدولف تين Hippolyte Taine، (1828م-1893م):

لقد نزع "تين" نحو التّفسير الاجتماعي، وقد "حاول إسقاط الفردية إسقاطا تامّاً، فليس هناك أيّ خصائص فردية يتميّز بها الأديب، وإنّما الذي هناك خصائص جماعية تجمع بينه وبين أدباء أمّته، بل هي ليست خصائص إنّما هي قوانين حتمية كقوانين الطّبيعة، قوانين تتحكّم في أدباء كلّ أمّة دون أيّ تفريق، وقد اكتشف "تين" ثلاث عوامل جبرية من خلال دراسته للنّصوص الأدبية، تعتمل فيما بينها لتشكّل الأدب، أمكنه من خلالها وضع الأديب ضمن الإطار العام لجماعته، وراح يقوم بتطبيقها على الأدباء في كلّ أمّة، وهي[1]:

العرق أو الجنس Race: ويقصد بالجنس الفطرة الموروثة في الأمّة، إذ لكلّ أمّة منحدرة من جنس معيّن خصائصها الفطرية التي يشترك فيه السّلف والخلف، والفطرة هي أيضا مجموع الصّفات التي يرثها الشّخص أو الأديب من أمّته فتمنحه خواصّها كأن يكون عربيّاً أو جرمانيا أو غير ذلك".

البيئة أو المكان أو الوسط Milieu: وهو الوسط الجغرافي الذي ينشأ فيه أفرد الأمّة نشوء يعدّهم ليمارسوا حياة مشتركة في العادات والأخلاق والرّوح الاجتماعية، وبعبارة أخرى فهو الفضاء الفيزيقي الذي يحيا فيه الأديب، ويترك بصمات في إبداع الأديب، وبهذا فهو يشير إلى تأثير البيئة والمناخ في الأمّة ونتاجها الأدبي.

الزّمان أو العصر Temps: وهي مجموع الظّروف السيّاسية والثّقافية والفنّية والدّينية التي من شأنها أن تمارس تأثيرا على النّص، وقد أصرّ على تتبّع الشّوارد التي تتعلّق بكلّ عصر من العصور ودراسة تأثيرها على الإبداع الفنّي.

[1] ينظر: **شوقي ضيف**، البحث الأدبي، ص88-89، و91.

ج_ فرديناند برونُتيير Ferdinand Brunetière، (1849م-1909م):

لقد كان "برونتيير" من الباحثين التطوّريين، حيث كان أوّل من قام بتطبيق نظرية "داروين" عن علم الأحياء على الآداب، وقد تأثّر ب "سبنسر" الذي نجحت محاولته في تطبيقها على الأخلاق والاجتماع، وقد ألّف كتابا بعنوان "تطوّر الأنواع الأدبية" سنة 1890م، حاول أن يثبت فيه أنّ الأنواع الأدبية، سواء كانت شعرا أم نثرا "**تنقسم إلى فصائل وأنّ كلّ فصيلة في الأدب مثلها مثل الفصائل في الكائنات الحيّة عند داروين، فهي تنمو وتتوالد وتتكاثر متطوّرة من البساطة إلى التّركيب في أزمنة متعاقبة، حتّى تصل إلى مرتبة من النّضج قد تنتهي عندها وتتلاشى كما تلاشت بعض فصائل الحيوان، واختار لتطبيقاته ثلاثة أنواع أدبية هي المسرح والنّقد الأدبي والشّعر الغنائي، مصوّرا فيها كيف أنّ كلّ نوع لم يتطوّر إلّا باجتماع دوافع تاريخية، تستمدّ من العصر ومن البيئة ومن كلّ الظّروف الاجتماعية**"[1]، ومع صحّة نظريته التطوّرية إلّا أنّه لا يمكننا أن نقضي بحكم فناء جنس أدبي في آخر أو تحوّله إليه، فالأنواع الأدبية لا تمحو بعضها البعض، والقديم حيّ كما هو الجديد منها.

تاريخ الأدب العربي:

إنّ تاريخ الأدب العربي هو علم يبحث في تاريخ الأمّة العربية من حيث الأدب والعلم، غرضه الأسمى هو بيان منزلة العرب بيت سائر الأمم الرّاقيّة من حيث الرّقيّ الاجتماعي والعقلي، وقد تضاربت التّعاريف التي تناولت تاريخ الأدب بين الباحثين والنّقاد العرب، وأفردوا تعريفاتهم لتاريخ الأدب في مواطن كثيرة من أعمالهم، إلّا أنّهم قد اتّفقوا على إعطاء معنيين اثنين لتاريخ الأدب، المعنى العام والمعنى الخاصّ.

[1] **شوقي ضيف**، البحث الأدبي، ص94.

أمّ المعنى العامّ عند "جرجي زيدان" فهو علم "**يبحث في تاريخ الأمّة من حيث الأدب والعلم، فيدخل فيها النّظر فيما ظهر فيها من الشّعراء والأدباء والعلماء والحكماء، وما دوّنوه من ثمار قرائحهم أو نتاج عقولهم في الكتب، وكيف نشأ كلّ علم وارتقى، وتفرّع عملا بسنّة النّشوء والارتقاء**"[1]، ويعرّفه "حسن الزيّات" أيضا هذا المعنى بأنّه "**وصف مسلسل مع الزّمن لما دوّن في الكتب وسجّل في الصّحف ونقش في الأحجار، تعبيرا عن عاطفة أو فكرة أو تعليما لعلم أو فنّ، أو تخليدا لحادثة أو واقعة، فيدخل فيها ذكر من نبغ من العلماء، والحكماء والمؤلّفين، وبيان مشاربهم ومذاهبهم، وتقدير مكانتهم في الفنّ الذي تعاطوه، ليظهر من كلّ ذلك تقدّم العلوم جميعها أو تأخرها**"[2].

أمّا المعنى الخاصّ لتاريخ الأدب فهو "**علم يبحث عن أحوال اللّغة وما أنتجته قرائح أبناءها من بليغ النّظم والنّثر في مختلف العصور، وما عرض لهما من أسباب الصّعود والهبوط والدّثور، ويعنى بتاريخ النّابهين من أهل الكتاب واللسن ونقد مؤلّفاتهم وبيات تأثير بعضهم في بعض بالفكرة والصّناعة والأسلوب**"[3]، وممّا نلاحظه تشابه المعن العامّ والخاصّ إلّا أنّهما يختلفان في موضوع الدّراسة، فالمعنى العام يعنى بسائر العلوم، أمّا المعنى الخاصّ فيقتصر على الأعمال الأدبية وما تتوفّر عليه من قيمة جماليّة وفنّية.

<u>الدّراسات السّابقة في هذا المجال:</u>

إنّ البحث العلمي هو عمل تتضافر فيه الجهود السّابقة واللّاحقة من أجل الوصول إلى نتائج وأحكام من شأنها خدمة المسار العلمي، وهي الغاية التي يتوخّاها البحث العلمي،

[1] **جرجي زيدان**، تاريخ آداب اللّغة العربية، مطبعة الهلال، ط.3، 1936م، ج1، ص3.

[2] **أحمد حسن الزيات**، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ط، د.ت، ص04.

[3] **أحمد حسن الزيات**، تاريخ الأدب العربي، ص03.

لذا كان لزاما علينا البحث عن أهمّ الدّراسات والمؤلّفات التي بحثت في تاريخ الموضوع أي تاريخ الأدب العربي، ولعل من أوّل المؤلّفات التي تناولت هذا الموضوع، نجد[1]:

_ كتاب "الفهرست" ل "ابن النّديم": وهو يشتمل على آداب اللّغة العربية من أوّل عهدها إلى غاية ذلك العصر مرتّبة حسب الموضوعات، طبع في لايبزيغ 1872م ثمّ مصر.

_ كتاب "مفتاح السّعادة ومصباح السيّادة في موضوعات العلوم" لصاحبه "أحمد بن مصطفى" المشهور ب "طاش كبرى زاده": ذكر فيه مؤلّفه 150 فنّا مرتّبا حسب الموضوعات أيضا، فيه نسخة خطّية بدار الكتب المصرية.

_ كتاب "كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون" لمؤلّفه "مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة": وهو معجم مرتّب أبجديا، وفيه نحو 14501 مؤلّفا، مع أصحابها، ونحو 300 علم وفنّ، طبع في لايبزيغ 1835م، ولندن 1858م.

_ كتاب "أبجد العلوم" للمؤلّف "صدّيق بن حسن القنّوجي": وهو موسوعة ضخمة من التّواريخ والتّراجم والفنون، طبع بالهند سنة 1296هجرية.

[1] **جرجي زيدان**، تاريخ آداب اللّغة العربية، ص03-04.

الفصل الأول

1_ لفظ "الأدب"، بحث عن المعنى الأصلي ومعانيه المتعدّدة:

لقد بدأ المستشرق "كارلو نالينو" بتحديد المواضيع التي ستدور عليها دروسه، فقدّم أوّلا شرحا للفنّ الذي يختصّ بتدريسه وهو "تاريخ الآداب العربية".

يعرّف "نالينو" اللّغة على أنّها[1] "**كائن حي فعلي مثل كلّ حيّ تقبل النّمو والتّجدّد والفساد**"، وهو يُسقِط هذا أيضا على الألفاظ المفردة عندما يطرأ عليها التغيّر والانتقال من معنى لآخر، وهو ما يقابل تغيّر أوضاع الأمّة الاجتماعية والسيّاسية والاقتصادية والعلمية، ومن هذه الألفاظ لفظة "الأدب" الذي تغيّر معناه من فترة إلى أخرى خلال العصور المختلفة من تاريخ الأمّة العربية[2].

يشير "نالينو" قبل الشّروع في تتبّع تطوّر اللّفظ إلى تعريف لفظة "أدب" في المعاجم العربية، ويُدرج تعريفها كما هي عند المُقْرِي[3]: "**أدّبته أدبا من باب ضرَب علّمته رياضة النّفس ومحاسن الأخلاق**"، وعند أبي زيد الأنصاري: "**الأَدَبُ يقع على كلّ رياضة محمودة**"، وغيرهم، ومن الذين توسّعوا في تعريفهم لكلمة الأدب نجد المرتضى الحسيني، في كتابه تاج العروس الذي يقول فيه: "**الأَدَبُ (محرّكة)، الذي يتأدّب به الأديب من الناس، سميّ لأنّه يؤدّب الناس إلى المحامد، وينهاكم عن المقابح، وأصل الأدب الدّعاء، وقال شيخنا، ناقلا عن تقريرات شيوخه، الأدب ملكة تعصِم من قامت به عمّا يشينه، وفي المصباح هو تعلّم رياضة النّفس ومحاسن الأخلاق، وقال أبو زيد الأنصاري: الأدب يقع على كلّ رياضة محمودة يتخرّج بها الإنسان في فضيلة من**

---

[1] **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص21.

[2] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص21.

[3] **المقري أحمد بن محمد الفيومي**، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، تح: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1977م، الجزء 1، ص9.

الفضائل، ومثله في التهذيب، وفي التوشيح هو استعمال ما يحمد قولا وفعلا أو الأخذ أو الوقوف مع المستحسنات أو تعظيم من فوقك والرّفق بمن دونك"[1].

إنّ الدّارس لكتب تاريخ الأدب العربي وفنونه سواء تلك التي كتبها العرب أو المستشرقون، يلاحظ تشابها في المبحث الأوّل الذي يتطرّق إلى تعريف لفظة "الأدب" في المعاجم العربية، فالمعاجم العربية[2] "**متوفّرة في كلّ فرع وموضوع، فضلا عن الثّقة الكبيرة التي تحيط بتلك القواميس والأمانة العلمية والدقّة**"، ولهذا اعتمد عليها المستشرقون، وقد يكون اعتمادهم عليها أيضا لأنّهم [3]"**يتحسّسون جوانب النّقص والقصور في ميدان المعاجم العربيّة**" من جهة إهمال علماء اللّغة للتطوّر اللّغوي للنموذج أو ضيق الرّقعة التي تغطّيها القواميس العربيّة وأيضا عدم تفريق العلماء أنفسهم بين المعنى العام والإجمالي والمعنى الفعلي الواقعي الذي يقتضيه موقع اللّفظة في سيّاق النّص[4]، ويضيف "نالينو" هنا أن[5] "**لغويّي العرب عند شغفهم وعنايتهم المحمودة بلمّ غريب الألفاظ كثيرا ما أغفلوا إتقان تعريف المفردات المألوفة كأنّها غير حريّة بالذّكر**".

ويعلّق "نالينو" على نّص "الزّبيدي" بأنه وبالرغم من طوله إلّا أنّه غير واضح وغير مفيد في إظهار ما كان عليه الأدب أصلا ولا معانيه المتفرّعة والمتعدّدة، وهذا ما يستلزم حسب نظره إلى استعراض مجموعة شواهد شعرية ونثرية توضّح معنى اللّفظة، ويرتّبها المؤلّف ترتيبا تاريخيا على النّحو الآتي[6]:

---

[1] **الزبيدي محمد مرتضى الحسيني**، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: هلالي علي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط2، 1987م، الجزء 2 ص 12.

[2] **عمايرة إسماعيل أحمد**، المستشرقون والمناهج اللّغوية، دار حنين، عمان، الأردن، ط2، 1992م، ص29.

[3] **عمايرة إسماعيل أحمد**، المستشرقون والمناهج اللّغويّة، ص29.

[4] ينظر، **عمايرة إسماعيل أحمد**، المستشرقون والمناهج اللّغوية، ص29.

[5] **كارلو نالينو**، تاريخ الأداب العربية، ص21، 22.

[6] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص24، 25، 26، 27.

أ_ جاءت اللّفظة بمعنى السنّة، السّيرة أو الطريقة التي على الإنسان الجاهلي أن يسيرها، والتي خلّفها له آباؤه وأجداده، وفي ذلك قول "سَهم بن حنظلة الغَنَويّ"[1]: (البسيط)

قد يعلَمُ النَّاس أنَّي من خيارهـــــــــمُ في الدِّين دِيناً وفي أحسابهم حَسَبَا

لا يمنع النّـــــــاسُ منِّي ما أردتُ ولا أعْطيهمُ ما أرادوا حُسْنَ ذَا أَدَبَـــــا

يضيف "نالينو" أبياتا تدلّ على هذا المعنى – السنّة أو السّيرة – ولا نجده يذكر شواهدا عن معنى "آدب" عند العرب الجاهليين باعتباره مشتقّا من اللّفظة، ولفظة "آدب" أي الدّاعي إلى الطّعام قد أفرده بعد ذلك في العلاقة بين المعنى والمشتقّات من لفظة "أدب"، باعتباره يتطرّق إلى المعنى في تطوّره التّاريخي، وهو ما ذكره "شوقي ضيف" حين يقول[2]:

"تجد لفظة آدب بمعنى الدّاعي إلى الطّعام، فقد جاء على لسان طرفة بن العبد:

نحن في المَشْتَاة نَدْعوا الجَفَلَى لَا تَرَى الآدِبَ فِينَا يَنْتَقِرُ

ب_ جاءت بمعنى التربية وتثقيف العقول، وحسن الشيّم وتهذيب الأخلاق، وفي هذا قول أبو تمّام الطائي في حماسته[3]: (البسيط)

أُكْنِيهِ حين أناديهِ لِأُكْرِمَـــــــــهُ ولا ألقِّبُـــهُ والسَّوْأَةَ اللقَـــــبَا

كذاك أُدِّبْتُ حتَّى صار من خُلُقـــي إنِّي وجدت مِلاكَ الشِّيمَةِ الأَدَبَا

ج_ جاءت بمعنى المعرفة بالشيء، والتأديب هو الإخبار بالشيء والتعليم، والأديب هو المُخبر بأمر مخصوص، ومن هذا قول عليّ ابن أبي طالب للنبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم

---

[1] **البغدادي عبد القادر بن عمر**، خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997م، ج9، ص434.

[2] **شوقي ضيف**، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط11، 1960م، ص7.

[3] **الخطيب التبريزي أبو زكريا يحي بن علي**، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، مطبعة بولاق، القاهرة، ج3، ص87، نقلا عن: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص 26.

حين خاطب وفد بني نهد "**يا رسول اللّه، نحن بنو أب واحد ونراك تُكلِّم وفود العرب بما لا نفهم أكثره**، فقال النّبي صلّى اللّه عليه وسلّم[1]: "**أدّبني ربّي فأحسن تأديبي، وربّيت في بني سعد**".

من النّقاد الذين جعلوا للكلمة ثلاثة أطوار أيضا نجد: "الرّافعي"، ويردّها إلى تغيّر الحالة الاجتماعية للمجتمع العربي، يقول "الرّافعي" في كتابه المشهور "تاريخ آداب العرب":[2] **تقلّبت هذه اللّفظة في اللّغة العربيّة على ثلاثة أدوار لغوية، تتبع ثلاث حالات من أحوال التّاريخ الاجتماعي، فهي لم تكن معروفة في الجاهليّة وصدر الإسلام إلّا بما يؤخذ من معناها النّفسي الذي ينطوي فيه وزن الأخلاق وتقويم الطّباع والمناسبة بين أجزاء النّفس في استوائها للجملة، وكلّ ما هو من هذا الباب**، وهو بهذا يوافق "نالينو"، إلّا أنّ هذا الأخير لا يشير بشكل أو بآخر إلى تطوّر الحالة الاجتماعية للمجتمع العربي.

ولعلّ من أهمّ التّعريفات التي نوردها هنا هو تعريف "عمر فرّوخ" لمعنى كلمة الأدب عند العرب، الذي اختصر فيه كافّة المعاني المذكورة آنفا، وذلك بقوله[3] "**تدلّ كلمة أدب على معانٍ متعدّدة، منها دعوة النّاس إلى مأْدُبَة (إلى طعام)، ومنها تهذيب النّفس وتعليمها، ومنها الحديث في المجالس العامّة، ومنها السّلوك الحسن، ومنها الكلام الحكيم الذي ينطوي على حكمة أو موعظة، حسنة أو قول صائب، وأمّا المعنى المقصود هنا فهو الذي يطلق على مجموع الكلام الجيّد المرويّ نثرا أو شعرا**"،

ثمَّ طرح بعد ذلك "نالينو" مجموعة من التَّساؤلات حول علاقة الألفاظ والمعاني السَّابقة بالمفردات المشتقَّة من حروف لفظة "أدب"، مثل: الأَدْبُ وهو العجب، المَأْدُبَة وهي

---

[1] **ابن الأثير مجد الدين بن محمد الجزري**، النهاية في غريب الحديث والأثر، المطبعة العثمانية، القاهرة، مصر، دط، 1398م، ج1، ص3.

[2] **مصطفى صادق الرّافعي**، تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، ج1، ص23.

[3] **عمر فرّوخ**، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1981م، ج1، ص42.

الطَّعام الذي دعي إليه فلان، أَدُبَ وهي دَعَى فلاناً إلى طعامٍ[1]، وذكر بعدها اجتماع علماء اللّغة على إجابة على هذه الأسئلة، نحو قول البغدادي في "خزانة الأدب"[2]: "**واشتقاقه من شيئين يجوز أن يكون من الأدب وهو العجب، ومن الأدب مصدر قولك أدب فلان القوم يَأدُبُهم إذا دعاهم، قال طرفة:**

نَحنُ في المَشتاةِ ندعُوا الجَفَلَى لا تَرَى الآدِبَ فينا يَنْتقرُ

فإذا كان من الأَدْب الذي هو العجب فكأنّه الشيء الذي يعجب منه لحسنه لأنّ صاحبه الرجل الذي يعجب منه لفضله وإذا كان من الأَدَب الذي هو الدُّعاء فكأنه الشيء الذي يدعو الناس إلى المحامد والفضل فينهاهم عن المقابح والجهل".

[1] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص 27.

[2] **البغدادي عبد القادر بن عمر**، خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، ج9، ص432، 433.

وحسب رأي "نالينو" فهذا الاشتقاق بعيد عن قواعد نموّ اللّغة الطبيعي وطريقة انتقال معاني المفردات إلى غيرها، حيث أدرج تلميحا عرضيا للأستاذ "فُلِّرسْ Vollers*"، وهو وُرُود كلمة الدّأب أي العادة في أشعار الجاهلية وهو ليس بعيدا عن معنى السنّة والأدب، ولا يستبعد أنّ العرب قد جمعوه على آداب ويعني على وزن "أعفال" بتخفيف الهمزة ومدّ الألف الأولى كما يجمع بئر على آبار ورأي على آرَاء، وهذا "**فرض بعيد، وأقرب منه أن تكون الكلمة انتقلت من معنى حسّي وهو الدّعوة إلى الطّعام إلى معن ذهني وهو الدّعوة إلى المحامد والمكارم، شأنها في ذلك شأن بقيّة الكلمات المعنوية التي تستخدم أوّلا في معنى حسّي حقيقيّ ثمّ تخرج منه إلى معنى ذهنيّ مجازي**"[1].

إنّ السِّيرة والأدبُ عند العَرب هو حِفْظ ما كانوا يتوارثونه عن أسلافهم من العوائد المستحسنة، لعلّهم حسب رَأيه استعملوا لفظ الآدَاب على تلك العوائد أي "السُنَّة المحمودة"، واشتقُّوا منه بعد ذلك صيغة لمفرده أي "أَدَب"، فأصبح لفظا الأَدَب والأَدْب فرعان من أصْل واحد على عدم عَلَاقة حقيقية بينهما، ويعطي مثالا عن ذلك كَلِمَتَا "الزَّوْر والزُّور، فأوَّلهما عربيٌّ محض معناه وسط الصَّدر، وقوَّة العزْم، والثّاني فارسي الأصْل بمعنى الكِذْب[1].

انتقل بعد ذلك الأستاذ إلى مصنّفات القرن الثاني للهجرة، التي وجد فيها أنّ معنى "الأدب" لم يزل مقصورا على طريقة التّصرّف ولا سيّما المحمودة وحسن الأخلاق النّاشئ عن حسن التّربية والميل إلى المحامد، إلّا ما تعلّق بالدّين والشريعة الذي اختصّ به اسم

* كارل فولرس karl vollers (1857م-1909م): مستشرق ألماني، ناظر المكتبة الخديوية بمصر أواخر ق19م، له عدة مؤلّفات منها الكتاب الذي أشار إليه نالينو في الإحالة لم نجد له ترجمة عربية، وهو: دليل المخطوطات الإسلامية والمسيحية الشرقية واليهودية والسامرية بمكتبة لايبزيغ، 1906م، دط، ص180.

[1] **شوقي ضيف**، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، ص8.

[1] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص29.

العلْم منذ أواسط القرن الأوّل للهجرة، وممّا دلّ على ذلك كتيّب "الأدب الصغير" لعبد اللّه ابن المقفّع، وهو كتاب في الحكم والنّصائح والأخلاق، الذي يقول مؤلّفه في حدّه[2]: "**قد وضعت في هذا الكتاب من كلام النّاس المحفوظ حروفا فيها عون على عمارة القلوب وصقالها وتجلّيه أبصارها وإحياء للتفكير وإقامة للتّدبير ودليل على محامد الأمور ومكارم الأخلاق إن شاء الله**".

إنَّ الأدب عند مؤلّفه "ابن المقفّع" قسم من علم الأخلاق العمليّ، فجاء في ضمن كتابه الأدب والآداب بمعنى طريقة التصرّف الحسنة، حيث يقول[1]: "**وعلى العاقل أن يحصي على نفسه مساوئها في الدّين وفي الرأي وفي الأخلاق وفي الآداب فيجمع دلك كلّه في صدره أو في كتاب**"، وربّما جاء الأدب بمعنى حسن التربية وتعليم مكارم الأخلاق، حيث يقول أيضا[2]: "**كلام اللّبيب وإن كان نزرا أدب عظيم**"، وربّما جاء أيضا بمعنى المعارف الدنيوية، فقال[3]: "**من حاول الأمور احتاج فيها إلى ستّ الرأي والتوفيق والفرصة والأعوان والأدب والاجتهاد وهنّ أزواج فالرأي والأدب زوج لا يكمل الأدب إلى بالرأي ولا يكمل الرأي بغير الأدب**"، إلى أن يصل به الأمر أن يعرّف الأدب بأنّه المعارف على الإطلاق[4].

ويذكر أيضا "نالينو" بأنّ الأدب كان عنوانا للباب الثّالث من كتاب الحماسة لأبي تمّام (المتوفَّى 228هـ)، وهو يتضمّن الأشعار في الحكم وفي الأخلاق المحمودة من حياء وعفّة وإغضاء عن الفحشاء وحسن معاملة النّاس ومسامحة الأخلّاء وهلمَّ جرّا ليكون ذلك كلّه هداية للنّاس في سيرتهم، وقد أورد أيضا الإمام البخاري (المتوفَّى 256هـ)، كتاب

---

[2] **كرد محمد علي**، رسائل البلغاء، دار الكتب العربية الكبرى، مصر، ط2، 1913م، ص24.

[1] **كرد محمد علي**، رسائل البلغاء، ص28.

[2] **كرد محمد علي**، رسائل البلغاء، ص34.

[3] **كرد محمد علي**، رسائل البلغاء، ص46.

[4] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص 32.

الأدب من كتاب الجَّامع الصَّحيح لعلم الأخلاق العملي وقوانين الأُنْس، ويتضمّن ما على الأولاد للوالدين والعناية بالأرامل واليتامى والفقراء وطيِّب الكلام والرّفق ورحمة النّاس بالبهائم وتعاون المؤمنين بعضهم بعضا، وحسن الخلق والسّخاء وما يكره من البخل وما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب... الخ، كما يؤكّد المؤلّف على أنّ كلمة الأدب لا زالت تستخدم بمعنى مكارم الأخلاق وحسن الأنس والتّصرّف، والمسمّى بأدب النّفس[1].

انتقل "نالينو" بعدها إلى أوائل القرن الثالث للهجرة حيث بدأت تتفرّع معاني اللّفظة وتتعدّد عن طريق الإطلاق والحصر، مع بقاء المعاني القديمة في عرف النّاس، ويرجع هذا إلى سببين حسب رأيه[2]:

_ الأوّل: نموّ اللّغة الطبيعي.

_ الثاني: تطوّر الحياة العربية سياسيا، اجتماعيا، ثقافيا... الخ، نتيجة بسط دولة بني العبّاس نفوذها على ما يجاورها من أمم مختلفة الجنس والدّين واللّغة وكان للعنصر الفارسي التّأثير الأكبر في الدّولة العبّاسية، والذين كانت لهم المناصب الهامّة في الدّولة، فكان منهم الوزراء والولّاة وغيرهم.

لقد حُفِظَت لفظة الأدب عند العرب حسب "نالينو" بمعنى المعارف الدنيوية القليلة إلى ما يلي منتصف القرن الرابع للهجرة، وذكر في ذلك رسائل إخوان الصفاء وفيها جاء:[3] **"واعلم يا أخي بأنّ العلوم التي يتعاطاها البشر ثلاثة أجناس فمنها الرياضية ومنها الشرعية الوضعية ومنها الفلسفة الحقيقة، فالرياضية هي علم الآداب التي وضع أكثرها لطلب المعاش وصلاح أمر الحياة الدّنيا وهي تسعة أنواع أوّلها علم الكتابة والقراءة ومنها علم اللّغة والنّحو ومنها علم الحساب والمعاملات ومنها علم الشّعر والعروض**

[1] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص32، 33.

[2] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص33.

[3] **إخوان الصفاء**، رسائل إخوان الصفاء، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، دط، 1985م، مجلد 1، ص266، 267.

ومنها علم الزجر والفأل وما يشاكله ومنها علم السّحر والعزائم والكيمياء والحيل وما يشاكلها ومنها علم الحرف والصّنائع ومنها علم البيع والشِّرى والتّجارات أو الحرث والنّسل ومنها علم السيّر والأخبار".

وهذا ما ليس بعيدا عن قول الوزير الحسن بن سهل (المتوفَّى 236هـ)، حيث قال[1]: "**الآداب عشرة فثلاثة شهرجانيّة وثلاثة أنوشروانية وثلاثة عربيّة وواحدة أربت عليهنّ، فأمّا الشهرجانيّة فضرب العود ولعب الشطرنج ولعب الصّوالج، وأمّا الأنوشروانية فالطبّ والهندسة والفروسية، وأمّا العربية فالشّعر والنّسب أيّام النّاس، وأمّا الواحدة التي أربت عليهنّ فمقطّعات الحديث والسّمر وما يتلقّاه النّاس بينهم في المجالس**"، وهي تشمل حسب "نالينو" كلّ الفنون غير الدّينية وكلّ ما كان يصلح على رأي الفرس للظريف الشّريف الأصل من المهارة بأنواع الألعاب ورياضة الجسم.

وقد حُصِر الأدب في ذلك القرن بمعنى المعارف والقوانين التي يجب مراعاتها، في ما تجب معرفته على طبقة مخصوصة من النّاس، وفي هذا ألّف "ابن قتيبة" (المتوفَّى 272هـ) "أدب الكاتب" الذي جمع فيه ما لا غنى عنه لكلّ كاتب ماهر من العلوم اللّغوية، ونجد أيضا أدب النّديم لصاحبه "محمود بن الحسين بن شاهاك" المعروف ب "كُشَاجِم" (المتوفَّى 350هـ) الذي به مجموعة من النّوادر والنّكت في المنادمة[2].

لقد أُطْلِق لفظ "الأدب" في أواخر القرن الثالث للهجرة على ما دون الأخلاق دلالة على المنهج الواجب سلوكه في فنّ من الفنون أو العلوم، فنجد في كتاب "العقد الفريد" لمؤلّفه "ابن عبد ربّه" (المتوفَّى 328هـ) بابا في آداب الحكماء والعلماء وأبوابا موسومة في بالأدب في الحديث والاستماع أو الأدب في المجالسة أو الأدب في المماشاة وغيرها،

[1] **الحصري إبراهيم بن علي القيرواني**، زهر الآداب وثمر الألباب، تح: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط1، ج1، ص155.

[2] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص35.

وفي كتاب "إحياء علوم الدّين" للإمام "أبي حامد الغزالي" (المتوفَّى 505هـ) نجد آداب الأكل وآداب النّكاح وآداب الكسب والصّحبة والمعاشرة وغيرها، وقد تعدّدت المؤلّفات والتّصانيف في آداب الدّرس أي في طريقة التعلّم والتعليم[1].

يذهب "كارلو نالينو" إلى بيان أصل سائر معاني الأدب، حيث يصف إيجازا نقلا عن "ابن خلدون" و"أبي الفرج الأصفهاني" (المتوفّى 356هـ)، و"المسعودي" (المتوفّى 345هـ)، و"أبي الطيّب الوشّاء" (المتوفّى 325هـ)، ما كانت عليه حياة التّرف والنّعيم التي عاشتها الدّولة العبّاسية في ظلّ حكم الرشيد وخلفه الأمين والمأمون من بعده، من شغف النّاس بالمجالسة والمنادمة والمحادثة على الشراب والأناقة والتّفنّن في جميع المعارف المستظرَفة، حيث عَدَلَ معنى الأدب عندهم عن الأخلاق المحمودة الحاصلة من حسن تربية النّفوس إلى كل ما وجب مراعاته ومعرفته والتّحلّي به على من أراد مجالسة اللّطفاء والوّجهاء وتعمّد جميع أنواع التظرّف في أعماله وأفكاره وحديثه[2].

يستخلص "نالينو" أنّ معنى الأدب منذ ابتداء القرن الثالث للهجرة هو[3] "**إظهار الأخلاق المرضية للجلساء والظرف والأناقة في اللّباس والطّعام والشّراب وسائر أحوال الحياة والأنس والفصاحة وعذوبة الكلام ثم حفظ الأبيات والنّكت مع أخذ شيء من كلّ علم لتوشّيه الحديث به**" وهذا بمعنى عام، ومنه يعدّد معنيين يتفرّعان منه:

المعنى الأوّل: الذين مالوا إلى ما يلذّ في العقول وفضّلوه على غيره رأوا غاية الظرف في حضور المجالس والمقامات ورواية الأمثال والحكايات والتحدّث بالمُلَح وغرائب النوادر وطرف الأخبار وتذاكر القصص وجمع مقطّعات الأشعار ترويحا للنّفوس وتفكيها للألباب مع كراهة كلِّ إطناب مملٍّ، وممّن سلك منهج التأليف هذا نجد: "الجاحظ عمرو بن

[1] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص35.

[2] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص36، 37.

[3] **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص38.

بحر(المتوفَّى 255هـ)"، فهو يجمع المنظوم والمنثور والنّوادر والفكاهات والأخبار في مصنّفاته النّفيسة، ونجد أيضا "المسعودي" في كتابه "مروج الذهب"، وكتاب "العقد الفريد" ل"ابن عبد ربّه"، وكتاب المحاسن و"المساوئ" ل"إبراهيم ابن محمد البيهقي"، وكتاب "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب" ل"ياقوت الحموي (المتوفَّى 626هـ)"، وغيرها كثير[1].

المعنى الثاني: فأصل المعنى كما قدّمه "نالينو" عند قوم من الظرفاء فضّلوا صناعة الشّعر والإنشاء البليغ ودقائق اللّغة على سائر أجناس الظّرف فاصطلحوا بلفظ الأدب على جميع الفنون الكتابية المستظرفة لا على مجرّد المقطّعات منها، ولفظ الأديب على من يحسن العربية ويتعاطى صناعتي النظم والنّثر، وممّن سلك هذا الطريق في التّصنيف نجد: كتاب "الكامل في اللّغة والأدب" للمبرّد (المتوفَّى 285هـ) ويشمل جميع التّصانيف التي تعتني بفنّي النّظم والنّثر لا غير[2].

ثم ينقلنا "نالينو" إلى معنى آخر أصله في قوم من العلماء اشتغلوا بعلوم الدّين والشّريعة التي تعنى بالتدقيق في معرفة أسرار العربيّة لتفسير القرآن من مفردات وعبارات أو شرح لغريب الحديث النّبوي، فجعلوا الاستقصاء على حدّ تعبيره في جميع أنواع العلوم المتعلّقة باللّغة والشّواهد الشّعرية جلّ المعارف الدنيوية بل توطئة لكلّ العلوم الشّرعية[3].

يذكر "نالينو" مثالا في ذلك وهو "أبو حامد الغزالي (توفي 505هـ)" وكتابه "إحياء علوم الدّين"، الذي يقول فيه[4]: "**إنّ العلوم الشّرعية تنقسم إلى أربعة أضرب الأوّل منها أصول الفقه والثاني فروع الفقه والثالث المقدّمات والرّابع المتمّمات يعني تفسير القرآن وعلم**

[1] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص38، 39.

[2] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص42، 43.

[3] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص45.

[4] **الغزالي أبي حامد محمد بن محمد الغزالي**، إحياء علوم الدّين، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2005م، ج1، ص24.

الحديث"، ويدرج علم اللّغة وعلم النّحو في الضّرب الثّالث "المقدّمات" وهي ليست من العلوم الشّرعية ولكن يجب الخوض فيهما بسبب الشّرع لمجيء الشّريعة بلغة العرب.

إنّ الذين جعلوا جلّ المعارف الدينية في علوم اللّغة العربية قد حصروا فيها الأدب، فأطلقوه أحيانا على جملة المعارف غير الدِّينية الشَّرعية، وسلكوا في هذا توجّهين[1]:

الأوّل: فيه من ذهبوا إلى أنّ علم الأدب أو الآداب الاعتناء بالأشعار القديمة، والتأليفات والرّسائل البليغة من جهة اللّغة الفصيحة واستخراج الشّواهد النّافعة، والتوّصل إلى المعرفة التّامّة بدقّة الكلام وأسرار الفصاحة والبلاغة لا من جهة قصد النّزهة أو مجرّد الظريف البديع، ومن هؤلاء ذكر "نالينو": الإمام الحافظ أبي حاتم محمّد بن حبّان البُستي (ت354هـ)، ابن السيّد البطليوسي (ت521هـ) وعبد الرحمان ابن خلدون[2].

الثَّاني: وفيه من حصر علم الأدب في علوم اللّغة العربية، أي مسلك الذين عَنوْا بالأدب علم الصّرف والنّحو واللّغة والمعاني والبيان مع ما يتّصل بها من علمي القوافي والعروض وهذا المعنى تولّد بعد القرن الخامس للهجرة، وذكر في هذا التوجّه: أبي البركات عبد الرحمن بن محمّد الأنباري (ت577هـ)، أبي يعقوب يوسف بن محمّد السكّاكي (ت626هـ) وابن خلّكان[3].

رأى "نالينو" في ختام كلامه عن استعمال لفظة الأدب أن يلخّص النتائج التي توصّل إليها في مجموعة من النّقاط:

[1] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص45.

[2] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص46، 47.

[3] بنظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص48، 49.

أ_ لفظة الأدب في الجاهلية مشتقّة من الآداب جمع الدأب، وعبّر العرب بها عن حسن السّيرة والأخلاق، وأُطلقت لفظة الأدب على تعليم وتأديب العوائد القديمة المأثورة دون التفريق بينهما، وكان الأديب عندهم هو المُخبر بالشّيء[1].

ب_ بعد ظهور الإسلام لم يزل معنى "الأدب" على ما كان عليه في الجاهلية أي السلوك والمنهج الحسن، أو على مجموعة معارف محصورة في المعارف الدّنيوية دون الدينيّة[2].

ج_ وقد تولّدت في عصر لاحق (القرن الثالث للهجرة) من معاني "الأدب" معانٍ أخرى جديدة، نتيجة التمدّن والاختلاط بالأمم الأخرى، فتوسّع نطاق المعارف المدلول عليها بلفظة "الأدب" إلى كلّ أنواع العلوم والفنون والصّنائع والحرف والألعاب، وهذا سوى العلوم الشّرعية[3].

د_ لقد استمرّ هذا المعنى العام في التداول في القرن الرّابع للهجرة، وتارة أخرى حصروا الأدب في معنى معرفة تعاطي فنٍّ مخصوص من العلوم، فيقال: أدب الكاتب، أي ما لا يستغني عنه الكاتب عن تعلّمه ليقوم بصناعته الحسنة، وتارة في الأخلاق والأساليب والقواعد التي يجب التمسّك بها في عمل من الأعمال، فيقال: آداب الأكل، آداب السّفر، آداب البحث ... الخ، ومنهم من اصطلحوا على أنَّ "الأدب" (السنّة) هو التظرّف في كلّ شيء، والتفنّن بما يُعجب من كلّ فنٍّ وحصروا الأدب في النكت والملح والنوادر واللّطائف ومقطّعات الشعر غير الطويلة المملّة، والأديب عندهم من أخذ نتفة من

[1] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص50.
[2] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص50.
[3] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص50.

كلّ فنٍّ، والمتعاطي للفنون الكتابية المستظرفة، ومن الذين حرصوا على تحصيل أساليب الشّعر وفنونه حصر الأدب في صناعتي النّظم والنّثر[1].

هـ_ في القرن الثّالث للهجرة ظهر مسلك الذين بذلوا عنايتهم في علوم الدّين والشّريعة، واتّخذوا منهجا خاصّا في تعريف الأدب عندهم، لمّا رَأوا أنَّ العلوم الإسلامية لا يتبيَّن افتقارها للّغة العربية وما يتعلّق بها من الأخبار والأشعار، وكان الاحتجاج بها أيضا في تفسير القرآن والحديث النّبوي، والكلام في معظم أبواب أصول الفقه وفروعه مبنيا على علم العربية والتّفاسير مشحونة بالرّوايات عن سيبويه والأخفش والكِسَائي والفرَّاء وغيرهم، وقد حصر فريق منهم الأدب في الشّواهد الشّعرية والنثرية والمعارف النافعة لشرحها لغة ومعنى، وفريق آخر يقول بأنّ الأدب هو علم الصرف والنّحو واللّغة والبيان[2].

بعد منتصف القرن التاسع عشر للميلاد، أخذ المترجمون العرب ينقلون الكتب الفرنسية والإنجليزية إلى العربية، واستعملوا لفظة "الآداب" كما يستعملها الإفرنج، أي للدّلالة على مآثر أي لغة، أو للدّلالة على الكتب الأعجمية، والسبب في هذا لأنّ العرب لم يؤلّفوا شيئا عن لغات الأمم الأخرى مثل اليونان والرومان والسريان والأتراك وغيرهم، إلا النزر القليل منهم، وذكر "نالينو" في ذلك: "أبي حيّان محمّد بن يوسف الغرناطي (ت745هـ)" صاحب كتاب "الإدراك للسان الأتراك"، "الزمخشري (ت538هـ)" صاحب مقدّمة وضعها على صفة قاموس عربي فارسي، ولكنّ العرب نقلوا كتب العلوم الأخرى كالريّاضيات والفلسفة والكيمياء والطّب والفلاحة، ولم ينقلوا يترجموا لأحد الأدباء اليونان والرّومان، إلّا ما وجدوه في تأليفات الفلاسفة أرسطوطاليس وأفلاطون، التي تثني على شعراء اليونان وعلوّ مرتبة الخطابة عندهم[3].

[1] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص51.

[2] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص51، 52.

[3] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص52، 53.

لقد قلّد المعاصرون من أبناء الشّرق الإفرنج في وضع معنيين للآداب، وهما[1]:

المعنى العام: جميع ما صنّف في لغة ما في العلوم أو الشعر والنثر البليغ، فالأدب ما قُيّد في لدّفاتر والكتب من نتائج وأفكار علماء الأمّة.

المعنى الخاص: ما سُبِك في قالب ظريف وصيغ على نمط الإنشاء الأنيق من الكلام المنثور والمنظوم، فهي حواصل جميع الفنون الكتابية المستظرفة، وتشتمل على أنواع الشعر والحكايات والروايات والقصص والأمثال والحكم والمقامات والخطب وغيرها.

2_ تعريف تاريخ الآداب:

لقد اتّفق الباحثون في تاريخ الأدب على أنّ للتّاريخ معنيان، الأوّل معنىً عام، والثّاني معنىً خاص، وهذا ما وجدناه أيضاً عند "نالينو"، والذّي يشير بدوره إلى هذين المعنيين.

يقف "نالينو" في تعريفه لتاريخ الآداب على معنيين، أمّا المعنى الخاص، فيوافق على حسب تعبيره تعريف "حضرة حفني بك" الذي يقول "**يدخل في ذلك التاريخ وصف الكلام من شعر ونثر في كلّ عصر من العصور وذكر نوابغ الشعراء والخطباء وكتّاب والمؤلّفين وبيان تأثير كلامهم في من بعدهم وتأثّرهم بمن قبلهم وما حولهم والموازنة بينهم والإلمام بمؤلّفاتهم**"[2].

أمّا المعنى العام فيُدخل فيه "نالينو" "ذكر جميع أصناف العلماء والحكماء والمؤلّفين البارعين مع بيان مشارب أفكارهم وشرح مناهج أعمالهم في العلوم وتقدير علوّ منزلتهم في

[1] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص54، 55.

[2] **حفني بك ناصف**، تاريخ الأدب أو حياة اللّغة العربية، مجموع محاضرات ألقاها بالجامعة المصرية، مطبعة الجريدة بسراي البارودي، القاهرة، دط، 1909م-1910م، ص6.

الفنّ الذي تعاطوه، ويمتنع مؤرّخ الأدب حسب "نالينو" الخوض في المسائل الخاصّة والانتقاد العلمي معتمدا على جوامع ما توصّل إليه مؤرّخ الحكمة والفلسفة في أبحاثه[1].

لقد وافق "شوقي ضيف" الأستاذ "كارلو نالينو" في هذا التّعريف في معرض حديثه عن المؤرّخين للأدب حين يقول بأنّه حين كتابته للتّاريخ "**أن يلتزم فيه المؤرّخ المعنى العام لكلمة أدب، فيؤرّخ لأعلام الثّقافة والفكر والأدب في الأمّة تاريخا عامّاً، وأن يلتزم المعنى الخاصّ، فيؤرّخ للشّعراء والكتّاب تاريخا خاصّاً بالأدب ونشأته وتطوّره، وأهمّ أعلامه**"[2].

لم يكن العرب سبّاقين إلى علم التأريخ للآداب لأنّه علم جديد في بلاد الشّرق، ولم يتقنوا علم التاريخ مثلما أتقنه اليونان والرّومان، إلّا البعض منهم والذين فصّلوا ذكر الحوادث سنة بسنة دون البحث عن الأسباب والأحوال الاجتماعية ولم يربطوا الوقائع ببعضها ونتائجها، ومن الذّين كان لهم السّبق في ميدان التاريخ عند العرب يذكر "نالينو": "الطّبري"، "ابن الأثير"، "أبي الفداء الحموي" و"ابن الوردي" وغيرهم[3].

[1] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص55، 56.

[2] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص11.

[3] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص57.

3_ كيف ينقسم تاريخ الآداب العربية:

يقسّم "نالينو" تاريخ الآداب العربية إلى ستّة أطوار أو أعصر، هي[1]:

أ_ عصر الجاهلية: لا يُدرك أوّله وينتهي بظهور الإسلام، وهو عصر عربيٌّ لغة وأدباً وبلاداً.

أمّا المعروف عند العرب فإنّ دلالة هذا العصر _العصر الجاهلي_ هي كلّ الاطوار التّاريخية للجزيرة العربية في العصور القديمة، أمّا الأدب الجاهلي فيؤرّخ له إلى ما وراء قرن ونصف من البعثة النّبوية، بل ويكتفون بهذه الحقبة[2].

لكنّنا نرى أنّ بعض النّقاد يقرنون بداية العصر الجاهلي بالشّعر العربي، ولعلّ دافعهم في هذا هو مركزية الشّعر العربي في التّراث الأدبي القديم، وما شكّله من علامة فارقة في حياة الإنسان العربي، أمّا إذا نظرنا إلى العنوان نظرة فاحصة يمكننا أن نكتشف للوهلة الأولى أنّ البعض منهم قد أغفلوا أشكال التّعبير الأخرى التي نقصد بها هنا الأشكال النّثرية التي تدخل ضمن الآداب العربية هي الأخرى أيضا، وهي ترتبط بالعقل العربيّ في مراحل تطوّر تفكيره، ولعلّ ما أدّى بالنّقاد لربط بداية الشّعر مع بداية العصر هو عامل اللّغة، وهذه "**الحقبة التّي تكاملت فيها اللّغة العربيّة منذ أوائلها خصائصها**"[3]، ويوجد سبب ثانٍ، وهو عدم وجود نصوص حسّية، فلم يتوصّل النّقاد والمؤرّخون إلى "**الأدلّة المادّية على وجود على وجود رسائل أدبيّة في العصر الجاهلي، فمن المحقّق أنّه**

[1] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص 57، 58، 59، 60.
[2] ينظر: **شوقي ضيف**، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص38.
[3] **شوقي ضيف**، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص38.

وجدت عندهم ألوان مختلفة من القصص والأمثال والخطابة وسجع الكهّان، ومن المؤكّد أنّهم كانوا يُشْغَفون بالقصص شغفاً شديداً[1].

ب_ العصر العربي الإسلامي: من ظهور الإسلام إلى سقوط الدّولة الأمويّة سنة 132هـ، حيث اتّسعت حدود الدّولة الإسلامية عن طريق الفتوحات، وأخذت تزهوا الآداب العربيّة خارج الجزيرة أيضا، إلّا أنّها بقيت محصورة في الآداب الجاهلية، سوى العلوم المتعلّقة بالدّين.

ومن المؤرّخين من يقسّم هذا العصر _العصر الإسلامي_ إلى قسمين، "**فهو إلى نهاية عصر الخلفاء الرّاشدين يسمّى عصر صدر الإسلام، وما يليه إلى آخر الدّولة الأمويّة يسمّى العصر الأمويّ**"[2]، وهو نقطة النهاية بالنّسبة للمستشرق "كارلو نالينو" في دراسته للآداب العربيّة، والتي تدور في فلكها هذه المحاضرات.

ج_ العصر العبّاسي الأوّل: يمتدّ من سقوط الدّولة الأمويّة وقيام الخلافة العبّاسية إلى حدود سنة 450هـ، وفي هذا الدّور ساهم العجم في تكوّن التمدّن الإسلامي، ونقلت كتب العجم العلمية إلى العربية، وتفنّنوا في الآداب، وبلغت الفنون والآدب ذروتها من الكمال والإتقان والبهاء والرونق، وهذا نتيجة الاختلاط بين الأمم المختلفة الأصل والأخلاق ومشاركتهم في العلم والعمل.

د_ العصر العبّاسي الثاني: من سنة 450هـ إلى سقوط بغداد في يد التتار سنة 656هـ، انحطّت العلوم والآداب في هذا العصر نتيجة الانحطاط السيّاسي وتسلّط الخرس التركي وأمراء الدّول والجيوش على الخلفاء العبّاسيين.

---

[1] **شوقي ضيف**، تاريخ الأدب العربي، ص399.

[2] **شوقي ضيف**، تاريخ الادب العربي، العصر الجاهلي، ص14.

لقد اختلف المؤرّخون كثيرا في قضية تقسيم العصر العبّاسي، فهناك من قسّمه إلى عصرين و ثلاثة أعصر، وهناك من يزيد على ذلك بتقسيم العصر الواحد إلى فترات زمنية، تتبع في مجملها أهمّ الأحداث والانقلابات في الحياة الاجتماعية للعصر العبّاسي، ويوجز النّاقد "شوقي ضيف" ذلك بقوله[1]: "**والعصر الثالث هو عصر العباسيين أو العصر العباسي ويستمر إلى سقوط بغداد في يد التتار سنة 656 هجري/ 1285ميلادية، ويقسم بعض المؤرخين هذا العصر قسمين : العصر العباسي الأول ويمتد نحو مائة عام، والعصر العباسي الثاني ويستقل ببقية العصر، ومن المؤرخين من يقسمه ثلاثة أقسام، يبقى فيها على القسم الأول بنفس الاسم، أما العصر العباسي الثاني فيقف به عند سنة 334 هجرية/945 ميلادية، وهي السنة التي استولى فيها بنو بويه على بغداد والتي أصبحت الخلافة العباسية منذ تاريخها اسمية فقط، ويمتد العصر العباسي الثالث إلى استيلاء التتار على بغداد، وقد يقسم بعض المؤرخين هذا العصر العباسي الثالث قسمين، فيقف بالقسم الأول عند دخول السلاجقة بغداد سنة 447 هجرية/1055 ميلادية، ويستقل القسم الثاني أو العصر العباسي الرابع ببقية العصر.**

هـ_ عصر الانحطاط: يمتدّ من سقوط الخلافة العبّاسية إلى استيلاء محمد علي باشا على مصر سنة 1220هـ، حيث خمدت فيه جمرة الآداب العربيّة وفترت همم أهل العلم، وقلّد شعراء العصر سابقيهم، وأكثروا من التصنّع وتنميق العبارة وزخرفة الكلام، ولم يهتمّوا بالتعبير عن مكنوناتهم وعواطفهم وخواطرهم، إلّا أنّه يوجد البعض من أهل العصر أحرزوا تفوّقا عن غيرهم ذكر منهم: نصير الدّين الطّوسي وابن خلدون.

[1] **شوقي صيف**، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص14.

وحدّد بعضهم أيضا هذا العصر بنزول الحملة الفرنسية على مصر سنة 1213هجرية/1798ميلادية، بقيادة "نابليون بونابرته"[1].

و_ النهضة الأخيرة: التي ابتدأت من ولاية محمّد علي باشا سنة 1220هـ إلى أيّامنا هذه (أي إلى بداية القرن العشرين)، وهي فترة شاعت فيها العلوم الإفرنجيّة، وانتشر فيها فنّ الطّباعة في الشّام ومصر، وذاعت المجلّات والجرائد، وعادت فيها أسواق العلوم والآداب.

في الأخير يقول "نالينّو" عن تقسيم تاريخ الآداب بأنّه [2]"**وسيلة لتسهيل بيان سير الآداب في مدارج الترقّي أو رجوعها القهقريّ**"، وشبّه الحدود المعيّنة لكلّ عصر بالأعلام التي ينصبها البدو في القفار ليهتدي بها من ظلّ الطريق[3].

[1] ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص14.

[2] **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص64.

[3] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص64.

الباب الثّاني: الآداب العربية في العصر الجاهلي:

بعد ذكر المقدّمات يقدّم لنا "نالينّو" لمحة عن أحوال الأدب العربي في الأعصر الستّة السّابقة، وقد بدأ بالعصر الجاهلي.

يشير في البدء إلى ذكر الآثار القليلة التي وصلتنا عن الشّعر الجاهلي، وكذا ما روته العرب في مسامراتهم ومفاخرهم وما قالوه أثناء حروبهم وغزواتهم وتهاجيهم، فيقول عن العرب بأنّهم[1] "من أكثر الأمم شعرا لهم فيه التصرّف العجيب والاقتدار اللّطيف دوّنوا فيه عواطفهم وأعمالهم ومفاخرهم"، مستشهدا في ذلك بقول "أبي هلال العسكري (ت 395هـ)"[2]: "**لا تعرف أنساب العرب وتواريخها وأيّامها ووقائعها إلّا من جملة أشعارها، فالشّعر ديوان العرب وخزانة حكمتها ومستنبط آدابها ومستودع علومها**".

ثمّ أشار المستشرق بعد ذلك إلى قضية الفرق بين أوّلية الآداب العربية والآداب اللاتينية المعروفة (الفرنسية، الإيطالية والإسبانية وغيرها)، فهذه الأخيرة يمكن تتبّع تدرّجها عبر مراحل عكس ما هو معروف عن الآداب العربية التي لا يمكن معرفة أوّلياتها إلّا بروايات أصحابها أو بما ذكر في تصانيف الأمم الأخرى مثل اليونان والرّومان[3].

يقول "نالينّو" في حديثه عن الشّعر الجاهلي[4]: "**ولم ينقل إلينا بيت عربيٌ غير مرتاب بصحّته أقدم من أواخر القرن الخامس للميلاد أعني سابقا للهجرة بأكثر من مائة وثلاثين سنة تقريبا**"، واستدلّ على ذلك بقول الجاحظ (ت255هـ) في كتاب "الحيوان"[5]:

---

[1] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص65.

[2] **العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله**، الصناعتين الكتابة والشعر، مطبعة محمود بك الآستانة، ط1، 1902م، ص104.

[3] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص66.

[4] **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص67.

[5] **الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر**، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، مطبعة، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1965م، ج1، ص74، 75.

"وأمّا الشّعر فحديث الميلاد صغير السنّ أوّل من نهج سبيله وسهّل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة، وكتب أرسطوطاليس ومعلّمه أفلاطون ثمّ بطليموس وذي بقراط وفلان وفلان، قبل بدء الشّعر بالدّهور قبل الدّهور والأحقاب قبل الأحقاب ويدلّ على حداثة الشّعر قول امرئ القيس بن حجر:

إنَّ بني عوفٍ ابْتَنوا حسناً ضَيَّعَه الدُّخْلُلُـــــونَ إذْ غَدَرُوا

أَدَّوا إلى جارهم خفارتـــــه ولم يَضِعْ بالمَغيبِ مَنْ نَصَرُوا

لا حِمْيرِيٌّ وَفَى وَلا عُدَسٌ ولا است عَيرٍ يَحكُّـــــها الثَّفَرُ

لكن عُوَيْرٌ وَفِيٌّ بِذِمَّتِـــه لا قِصَـــــــــرٌ عَابَهُ ولا عَوَرٌ

فانظر كم كان عمر زرارة وكم كان بين موت زرارة ومولد النّبي عليه الصّلاة والسّلام، فإذا استظهرنا الشّعر وجدنا له إلى أن جاء اللّه بالإسلام خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام، قال وفضيلة الشّعر مقصورة على العرب وعلى من تكلّم بلسان العرب، والشّعر لا يستطاع أن يترجم ولا يجوز عليه النّقل ... الخ".

يعقِّب "نالينّو" على كلام الجاحظ ويقول بأنّه أخطأ لمّا قابل عهد الآداب اليونانية النثرية بالشعر العربية لعدم وجود علاقة كلٍّ بينهما، وأيضا يذكر بأنّ الجاحظ لم يلوّح كيفية استنتاجه حداثة الشّعر من الأبيات التي استشهد بها، فلا دلالة فيها على سابقيتها[1].

غير أنّ "الجاحظ" وحده لم يكن الوحيد الذي حاول تحديد بدايات الشّعر الجاهلي، ولا بأس أن نذكر بعض الروايات المختلفة التي تخوض في قضية أوّليّة الشّعر الجاهلي، وتحدّد نقطة بداية الشّعر العربي.

[1] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص68.

الرّواية الأولى: لا بدّ لنا أن نذكر الرّواية الأكثر شيوعا، وهي رواية أغلب النّقاد مثل "الجاحظ"، الذي ذكره "نالينو" سابقا و"ابن سلّام الجمحي"، وقد سمّى هذا الأخير الشّاعر الأوّل أيضا، يقول "ابن سلّام" في كتابه "طبقات فحول الشّعراء"[1]: "**وكان أوّل من قصّد القصائد وذكر الوقائع، المُهَلْهِل ابن ربيعة التَّغلبي في قتل أخيه كليب بن وائل، قتلته بنو شيبان، وكان اسم المُهَلهل عَديًّا، وإنّما سُمِّي مُهَلْهِلا لهَلْهَلَة شعره كهَلْهَلَة الثَّوب، وهو اضطرابه واختلافه.** ويقول أيضا: "**وكان شعراء الجاهليّة في ربيعة: أوّلهم المُهَلْهِل، والمرقِّشان، وسعد بن مالك، وطَرَفة بن العبد، وعمرو بن قَمِيئَة، والحَارِث بن حلزَّة، والمتلمِّس، والأعشى، والمُسَيَّب بن عَلَس**"[2].

الرّواية الثّانية: تسمّي هذه الرّواية أوّل شاعر وهو "الأفوه الأودي"، حيث يقول "جلال الدّين السّيوطي": "**وزعم بعضهم أنّ الأَفْوه الأوْدِي أَقْدم من هؤلاء، وأنّه أوّل من قصّد القصيد**"[3].

الرّواية الثّالثة: وصاحبها "ابن خالويه" والذي قال بأنّ أوّل من قال الشّعر هو "ابن خِدام"[4]، وهو شاعر غير معروف اختلف الباحثون في تسميته فتارة هو "ابن خذام" وتارة أخرى "ابن حمام".

الرّواية الرّابعة: وهي رواية تُصَّعب في تحديد أوّل الشعر، ولا تقف على أوّل من قال شعرا، فإنّ "**للشّعر والشّعراء أوّل لا يوقف عليه، وقد اختلف في ذلك العلماء، وادّعت**

---

[1] **ابن سلّام الجمحي**، طبقات فحول الشّعراء، تح: محمود محمد شاكر، د.ط، 1980م، ص39.

[2] **ابن سلام الجمحي**، طبقات فحول الشعراء، ص40.

[3] **السيوطي جلال الدّين**، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، تح: محمد علي البجاوي وآخرون، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ط، 1986م، ج2، ص477.

[4] ينظر: **السيوطي جلال الدّين**، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، ص477.

القبائل كلّ قبيلة لشاعرها أنّه الأوّل، ولم يدّعوا لقائل البيتين أو الثّلاثة، لأنّهم لا يسمّون ذلك شعرا"[1].

إنّ الباحث في الشّعر العربي لن يجد ما يدلّ على كون الشّعر فناً صغير السنّ، وإلّا فكيف وصل إلينا في مثل هذه الدّرجة من الكمال والتّفنّن في الافتخار والغزل والهجاء والمدح والوصف والرّثاء، جامعاً رقّة العبارة ومتانة التراكيب ورشاقة الأساليب دون وجود نصوص قديمة، فالشّعر حسب "نالينو" لا بدّ من أن يكون قليلا ثم يكثر، صغيرا ثمّ يكبر، ضعيفا ثمّ يقوى، ولم يبعد العلماء العرب عن الصواب حين قالوا بمدّة مائة وخمسين سنة، حيث أرادوا بذلك ما وصلنا من أشعار قديمة[2].

لقد أدرك النّقاد المحدثون أهميّة تحديد بداية الشّعر الجاهلي، وأدركوا تمام الإدراك أنّ النّصوص الجاهزة التي وصلتنا مثل نصوص امرئ القيس ابن حجر وغيرها هي نصوص ناضجة سبقتها عدّة محاولات وأخذت شيئا فشيئا تقترب من درجة الاكتمال الذي حقّقه امرؤ القيس وغيره من شعراء عصره، وفي هذا يقول "أدونيس": **"لكن مما لا شك فيه أننا إذا ترددنا في تحديد بداية الشعر الجاهلي، لا نتردّد في القول إن القصائد الجاهلية تدل على أن تقليدا شعرية سبقها، وأنها جزء ناضج مكتمل في هذا السّياق، غير أن جهلنا لبدايات هذا الشّعر يجعلنا نفقد عناصر أساسية في دراسته، أعني أن جهلنا بنشأته، وكيفيتها، وهل كانت دينية، أو سحرية، أو دينية سحرية معا، يضعف الأسس التي ترتكز إليها في دراسة تطوره، والنتائج التي انتهى إليها"[3].**

---

[1] **السيوطي جلال الدّين**، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، ص477.

[2] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص 68، 69.

[3] **أدونيس**، كلام البدايات، دار الآداب، بيروت، ط1، 1989م، ص9.

ينتقل بعد ذلك "نالينو إلى ذكر شعراء العصر الجاهلي، فيقول أنّ عدد الأسماء التي تذكرها كتب اللّغة والأدب نيّف وثمانين شاعرا، ولا نستطيع ترتيب تراجم الشّعراء حسب الأزمنة ولا تحديد تواريخ الميلاد والوفاة لأحد منهم، والكتب التي تحدّد تواريخ ميلاد ووفاة الشعراء لا تستند إلى دليل في مجملها، وذكر منها كتاب "روضة الأدب في طبقات شعراء الأدب" الذي ألّفه "إسكندر آغا إبكاريوس (ت1302هـ).

ثمّ قسّم بعد ذلك "نالينو" أشعار الجاهليين إلى أربعة أصناف، هي[1]:

_ شعر أهل البادية، أو من تقرّب منهم، سواء كانوا يهودا أم وثنيين.

_ شعر الوثنيين الذي قصدوا ملوك الحيرة وبني غسّان ومدحوهم وجالسوهم.

_ شعر النّصارى بالحيرة أو في مملكة بني غسّان.

_ شعر أهل الحضر الوثنيين في مدن الحجاز.

ممّا لا حظناه على هذا التّقسيم أنّه يعتمد على عاملين أساسيين، ربط بينهما "نالينو" ليحصر الشّعراء الذين يذكرهم، وهما:

أوّلا: الدّين، وهو الاعتقاد الذي اعتنقه شعراء الجاهلية سواء كانت الوثنية، النصرانية، أو اليهودية.

ثانيا: الأوضاع الاجتماعية التي عاشها الشّاعر، والبيئة التي ينتمي إليها، سواء كان من أهل المدر والحضر أو أهل البادية والوبر، وربّما كان مرتحلا بين ذاك وذاك، وهو تقسيم سابق، لا نعلم له تقسيما آخر غير ما أورده النّقاد العرب القدامى في كتابي "طبقات فحول الشّعراء" و"طبقات الشّعراء"، ابن سلّام وابن المعتزّ.

[1] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص71.

1_ شعراء البادية:

لقد ذكر "نالينو" في هذا الصّنف الشُّعراء الصَّعاليك الذّين كانت أخلاقهم وعوائدهم أقرب للهمجيّة منها لأحوال ذات نظام اجتماعي، فقد كانوا فقراء ولصوصا معا، اعتزلوا قبائلهم وجالوا في القفار والبوادي وامتهنوا الصّيد والغزو، ومنهم من نبغ في الشعر على توحّش عيشتهم، وقد ذكر "نالينو" هنا شاعرين هما: "تأبّط شراً الفَهْمي"، و"الشّنفرى الأزديّ" صاحب اللاميّة المشهورة التي يفتخر فيها بوحدته ووحشة عيشه في البراري، وقد عاش الشّاعران في القرن السّادس للميلاد[1].

إنّ هذا التّقسيم يعتمد على رؤية "نالينو" للنّقاط المضيئة في الشّعر الجاهلي، والقضايا الكبرى المهمّة في الشّعر العربي القديم، مثل الصّعلكة والمعلّقات وشعر نساء العصر الجاهلي ...الخ، ويمكن تقسيم هذا الصّنف أيضا إلى أقسام أربع، هي:

أ_ الشّعراء الصّعاليك.

ب_ شعراء المعلّقات الستّ.

ج_ شعراء البادية الآخرون.

د_ شاعرات الجاهلية.

[1] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص72.

ومن هذا الصّنف أيضا يَذكرُ "نالينو" شعراء المعلّقات الستّ من السّبع الشّهيرة، وهم: امرؤ القيس بن حجر، الحارث بن حلزّة، عمرو بن كلثوم، عنترة العبسي، زهير بن أبي سلمى ولبيد بن ربيعة، ويذكر طرفة في صنف آخر سيأتي ذكره لاحقا، وقد تطرّق إلى ذكر الشعراء حسب ترتيبهم التّاريخي، فبدأ ب[1]:

امرؤ القيس بن حُجْر الكندي: من آل ملوك كندة، وهو أقدم الشّعراء الذين يأتي على ذكرهم، فقد عاش في النّصف الأوّل من القرن السّادس للميلاد، وقد فضّله الكثير من أهل الأدب والشّعر على سائر الشّعراء في قرون مضت، وله معلّقة مشهورة، تميّز نظمه بحسن الصّناعة والمتانة، ورقَّة النَّسيب، والإجادة في التَّشبيه والوصف.

الحارث بن حلزّة اليشكري: وهو صاحب المعلَّقة التّي أنشدها بين يدي ملك الحيرة "عمرو بن هند (554م-569م)"، وغرض القصيدة سيّاسيٌ يحثّ قومه بني بكر بن وائل وأبناء عمومتهم بني تغلب بن وائل على ترك العداوة بينهما والحرب وألّا يُنقضَ الصُّلح المنعقدُ عند المُنذرِ بن ماء السّماء ملك الحيرة (506م-554م).

عمرو بن كلثوم التغلبي: الذي أنذر في معلّقته عمرو بن هند ملك الحيرة من المَيْل إلى بني بكر ويرغّب بني بكر ويتوعّدهم إن لم ينقطعوا عن التحريض، والقصيدة كما يراها "نالينو" فهي غاية في الفخر لم تتفوّق عليها قصيدة أخرى في هذا الغرض، بينما تتشابه معلّقتا الحارث وعمرو من حيث الموضوع الأساسي وهو التحدّث باسم القبيلة ومخاطبة الملك ذو الشَّأن العظيم، دون إدخال الأهواء الشَّخصية ما عدا النسيب الذي استهلَّا بها معلقتيْهما، فتبقى أبيات قليلة للغزل، والوصف[2].

[1] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص 74، 75، 76.

[2] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص76.

عنترة بن شدّاد العبسي: وهو الذي نسج معلّقته على الفخر والحماسة في العشرين سنة الأخيرة من القرن السّادس للميلاد، وذكر فيها أفعاله وفضائله وبطولاته، كيف لا وهو من أشجع العرب وأعلاهم همّة وأعزّهم نفسا، فقد أصبح مضرباً للمَثَل في المُرُوءة والشّجاعة، وديوان عنترة كلّه فخرٌ وحماسة، وله قصص وروايات عجيبة مشهورة ومتداولة كتبت في قرون لاحقة، ما أطلق عليها "سيرة عنترة"[1].

زهير بن أبي سلمى المزني: نحو ستمائة للميلاد، أي قبل اثنين وعشرين سنة قبل الهجرة أنشد "زهير" معلَّقته مادحا "هَرِماً ابن سنان" و"الحارث بن عَوْف" اللَّذان تحمّلا ديّة الحرب وأتمّا الصّلح بين قبيلتي عبس وذبيان، وتحوي المعلّقة على عبارات الحِلْم والوَرَع والحِكَم والنّصائح عكس سابقاتها[2].

لبيد بن ربيعة العامري: لقد اتّبع في نَظْمِ معلّقته (بين 610م و625م) طريقة "زهير" ونظم شعره على دُرَر المواعظ والحِكَمِ ومكارم الأخلاق والحِلْم، وقد عمَّر طويلا وأدرك الإسلام، ومات على الأرجح سنة 661م-662م/41هـ[3].

من الشُّعراء الآخرين الذين ذكرهم "نالينو" في هذا الصّنف: "عُرْوَة بن الورد العَبْسي" من الشُّعراء الصّعاليك وقد اشْتُهِر بالشَّجاعة والفَضْل، وأيضا "حاتم بن عبد الله الطّائي" الذي يُضْرب به المَثَل في الجود والكرم وله ديوان مشهور يرى "نالينو" أنّ في بعض أشعاره نظر أي مجهولٌ قَائِلُهَا، ونُسبت إليه لما فيها من مدح الجود والكرم، وذَكَر "الأفوه بن عمرو بن مالك الأودي المذحجي" سّيد قومه وقائدهم، وأحد حكماء العرب، وأيضا "ذو الإصْبَع العَدْوانيّ" صاحب الغارات والوقائع والحِكم والوَصَايا، و"سَلامة بن جَنْدَل التَّميمي"

[1] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص76.
[2] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص77.
[3] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص78.

وهو من فرسان العرب له ديوان أكثره في الفخر والحماسة، و"دُرَيْد بن الصِّمَّة" الذي أدرك الإسلام، وقتل في صفّ الوثنيين يوم حنين[1].

أشار "نالينو" في ختام كلامه عن هذا الصّنف إلى شاعرات الجاهلية أيضا اللّواتي نَبَغْن في نَظْم الشّعر لا سيما الرثاء لما عليه من رقَّة الطّباع وشدَّة الجزع في المصائب، فذكر: "الخنساء"، وأشار إلى كتاب "لويس شيخو" الذي أفرد كتابا لهنّ وأحصى فيه مراثي إحدى وستّين شَاعِرة[2].

2_ الشعراء الذين لازموا ملوك الحيرة وبني غسّان:

يقصد بهم "نالينو" الشّعراء الوثنيين الذين ابتعدوا عن خشونة البادية وتقرّبوا من سكّان المدن والرّفاهية والتّرف، فلازموا ملوك الحيرة وملوك غسّان ومدحوهم، وتجدر الإشارة إلى أنَّ مدحهم هذا يختلف عن مدح شعراء الصّنف الأوّل لمّا أكثروا فيه من المَلق والافتخار والغزل وذكر الخمر على مذهب أهل المدن، وقد أخذوا عبارات ومعاني جديدة لم يعهدها شعراء الصّنف الأوّل[3].

وقد ذكر "نالينو" في هذا الصّنف: "زهير بن جَنَاب الكلْبي" وهو من أقدمهم، ولكن لا نجد من أشعاره فيما نقل إلينا شيئا يدلّ على ملازمته ملوك الحيرة، غير أبيات قليلة فقط، ذكرت في كتاب "الأغاني"، فشعره بدويٌّ محض[4].

[1] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص79، 80.
[2] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص80، 81.
[3] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص81.
[4] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص81.

عَبيد بن الأبرص الأَسَدي: وهو الذي لازم المنذر بن ماء السَّماء، وهو صاحب شعر سلس ووصف مصيب، وقد وصل إلينا من شّعره ما يجري في الحكمة والاعتبار، وله قصيدة بائية التي يعدّها بعض اللّغويين من المعلّقات[1].

طَرفة بن العبد: جالس طرفة عمرو بن هند، وهو السّابع من أصحاب المعلّقات الذي سبق ذكرهم في الصّنف الأوّل، وقد كان يفتخر لشرب الخمر أكثر من الشّجاعة والحماسة، قتل وعمره ستّ وعشرون سنة[2].

النابغة الذبياني: وهو من أبرز المبرزين في الشّعر، وهو أوضح الشّعراء القدماء معنى وأبعدهم غاية وأكثرهم فائدة وأحسنهم ديباجة، لمّا وشي به إلى النّعمان هرب إلى عمرو بن الحارث من ملوك غسّان يمدحه، وقد رجع إلى النّعمان وجالسه إلى أن مات الملك، بعدها انتقل إلى ذبيان وهناك عاش بقية حياته إلى أن مات، وهذا قبل ظهور الإسلام، ويؤاخذ النّابغة على أنّه أوّل من نظم الشّعر طمعا في التكسّب[3].

الأعشى ميمون بن قيس البكري: تميّز شعره برقَّة اللّفظ، وكَثُر فيهِ وصف القِيان والخمر، وقد أدرك الإسلام وله قصيدة مشهورة في مدح النَّبيِّ صلّى اللّه عليه وسلّم[4].

حسّان بن ثابت: وهو مولود بيثرب وتوفيّ سنة 45هـ، أدرك الإسلام وأسلم، ولكن أجود شعره ما قاله في الجاهلية، يصف عيشته في جِلَّق (دمشق)، ولذيذ عيشه في الشّام، وافتخاره بقبيلته الخزرج، وقد مدح حسّان ملوك بني غسّان، لينال منهم الهدايا والجوائز[5].

---

[1] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص82.

[2] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص83

[3] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص85.

[4] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص86، 87.

[5] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص87.

3_ الشعراء النّصارى بالحيرة أو في مملكة بني غسّان[1]:

أبو دُؤَاد الإيّادي: كان أكثر شعره في وصف الخيل، وله مدخ وفخر، تميّز شعره بلين اللّفظ والبعد عن أساليب عرب البادية.

عَدِيٌ بن زيد العباديّ: كان يتقن العربية والفارسية، وقد خالف في نَظْمه شعراء نَجْد في استنكافه من الأعاريض الطّويلة واختياره القصيرة، وله شعر في الخمريات شبيهة بخمريات "الأعشى" و"حسّان"، رُويت عنه زُهديات تُشَابه زهديات الشُّعراء الإسلاميين.

4_ الشعراء الوثنيين أهل الحضر في الحجاز (أهل المدر)[2]:

يقصر "نالينو" في التحدّث عن هذا الصّنف ويذكر شاعرين فقط، وهما:

قيس بن الخطيم: من قبيلة الأوس، وُلِد بعد منتصف القرن السَّادس للميلاد، وقد قُتِل أَبُوه في حرب مع الخَزْرج، فلمّا شبَّ ثأر من قتلة أبيه وجدّه، وهو شاعر مدنيٌّ غير بدويّ، له قصائد مشهورة في عَمْرة بنت رواحة، مات قبل الهجرة بقليل.

أميّة بن أبي الصَّلت الثقفي: من أهل الطائف، كان راغِباً عن عبادة الأصنام في الجاهلية، والمشهور أنّه أدرك الإسلام أيضا ولم يُسلم، مات في السَّنة الثّامنة للهجرة.

يختتم "نالينو" بالحديث عن الشّعر الجاهلي بصفة عامّة، فيقول عنه بأنّه[3]: "مصدر أكثر فنون الشّعر العربي في عهد الإسلام، وفيه المدح والفخر والحماسة والرثاء والهجاء والوصف والزُّهديات والطَّرديات والتشبيب والخمريات وهو غاية الجمال والإتقان لفظا وعروضا"، ويقول عنه أيضا[4]: "كان الشعر ديوان أفكار العرب وخواطرهم وعواطفهم كأنّه

---

[1] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص88، 89، 90، 91.

[2] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص92، 93، 94.

[3] **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص94.

[4] **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص94.

دفتر عظيم قيّدوا فيه عوائدهم واعتقاداتهم وأمثالهم ومآثرهم"، ثمّ يستشهد بقول ابن رشيق القيرواني في كتاب العمدة حينما يتحدّث عن فضل الشّعر الجاهلي في وحدة اللّغة الأدبية في ظلّ اختلاف القبائل واللّهجات، وفضله على الشّعر بعد الإسلام، فيقول ابن رشيق[1]: "**إنَّما مثل القدماء والمحْدَثين كمثل رَجُلَين ابْتَدَأ هذا بناءً فَأَحْكَمه وأَتْقَنَه ثمَّ أتَى آخر فَنَقَشَه وزَيَّنه، فالكلْفة ظاهرة على هذا وإن حسن، والقدرة ظاهرة على ذلك وإن خَشُن**".

5_ النثر الجاهلي:

بدأ "نالينو" في حديثه عن النثر الجاهلي بالتأكيد على كون الكلام المرسل المعتاد أقدم من المنظوم بكثير عند كلّ أمّة، فالكلام العادي لا يأخذ بمجامع القلوب وليس كفيًّا بالتعبير عن العواطف ولكنّه أجدر من الشّعر في إظهار بنات الأفكار، أمّا الشِّعر بانسجامه ووزنه فهو يحرّك أهواء النّفس ويثير كامن حركاتها، وهو أجدر من النّثر في إظهار ما يكنّه القلب و تَتَصوَّره النّفس، ويمكن القول أنّ القوّة الخيالية غلبت على القوّة الفكرية والنّظرية، والسّبب الثّاني الذي يؤيّد أسبقية الشّعر هو الغرض منه، إضافة لإبراز العواطف والأفكار، فهو أيضا تخليد للعواطف وتداولها على ألسنة النّاس، أي أنَّ الكلام المقيّد بالوزن والقافية أخفُّ على اللّسان، وأسهل حفظا في النّفوس، وإن لم يدوَّن[2].

يتحدّث "نالينو" في هذا القسم عن الروايات التي بها كانت العرب تشرح أصل أمثالها ومعانيها، مثل تلك الموجودة في التّصانيف: كتاب "جمهرة الأمثال" لصاحبه "أبي هلال العسكري (ت395هـ)"، وكتاب "مجمع الأمثال" لمؤلّفه "أبي الفضل أحمد الميداني (ت518هـ)"، وربّما حفظوا هنا شيئاً من تواريخ الأمم المجاورة مثل الروم والفرس والعبرانيين، وممّن ساعد في إشاعة هذه الرّوايات أهل الكتاب المقيمون بمدن الحجاز، أو

[1] **القيرواني أبو علي الحسن بن رشيق**، العمدة في صناعة الشعر ونقده، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1907م، ج1، ص57.

[2] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص95، 96.

المتنقّلون إلى الشّام والعراق للتّجارة وذكر "نالينو" هنا: النضر بن الحارث بن كلدة الذي قتله النّبي صلّى اللّه عليه وسلّم صبرا لأنّه كان يحدّث القوم بأخبار ملوك الفرس ويلهيهم عن القرآن[1].

لقد كان المقصود من تلك الحكايات والرّوايات التّفكه والمتعة فقط، وكلّ ما يهمّ العرب فيها هو المضمون، أمّا الحكم التي وصلتنا فهي قليلة، وأغلبها على صورة الأمثال تشبه وصايا لقمان الحكيم المذكورة في القرآن، وقد كان للخطابة مقام رفيع عند العرب لارتباطها بالنّظام السيّاسي، مثل تلك التي تلقى في مجلس دار النّدوة، وظهر نوع آخر من الخطبة ما جرى في أمور الزهد والدّين وهنا ذكر "نالينو": "زيد بن عمرو بن نفيل" و"قسّ بن ساعدة الإيادي"، والكلام الذي نسب إلى هذا الأخير كلّه مسجَّع[2].

6_ المسائل المتعلّقة بالقرآن:

يشير "نالينو" في هذا القسم إلى مجموعة من المسائل التي تتّصل بالقرآن دون شرحها أو التطرّق إليها، بل يذكرها تلميحا فقط، وهي[3]:

_ مسألة لغة القرآن، هل هي لغة قريش المعتادة أم لا؟.

_ مسألة إنشاء القرآن، الذي اجتمع علماء المسلمين على أنّه كلام منثور خارج عن نوعي المنثور، فلا هو كلام مرسل مطلق ولا مسجَّع.

_ مسألة جمع القرآن في عهد الخليفتين "أبي بكر الصدّيق"، و"عثمان بن عفّان".

_ مسألة التواتر والقراءات.

---

[1] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص96.

[2] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص97، 98، 99.

[3] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص99.

_ مسألة بلاغة وإعجاز القرآن.

يختتم "نالينو" بالحديث عن أهميّة القرآن بالنّسبة للعرب، بما تضمّنه من أحكام فقهية مهمّة، وكيف كان القرآن مصدرا لعلوم شتّى، وأيضا لما فيه من حكم وأمثال ومواعظ ينتفع بها، وبما فيه من أحكام الوصايا وأصول التعبير وعلم المواقيت ومنازل القمر، إضافة لما وجده الكتّاب والشّعراء من جزالة اللّفظ وحسن السيّاق وبديع النّظم، وكلّ الفنون التي أخذتها الأمّة الإسلامية منه[1].

الباب الثالث: الآداب في صدر الإسلام وفي أيّام الخلفاء الرّاشدين:

يبدأ "نالينو" في معرض حديثه عن حال الآداب في عصر صدر الإسلام والخلافة الرّاشدة بقول ابن خلدون في مقدّمته[2]: "**ثمّ انصرف العرب عن ذلك (أي الشّعر) أوّل الإسلام بما شغلهم من أمور الدّين والنبوّة والوّحي وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النّظم والنّثر زمانا ثمّ استقرّ ذلك وأونِسَ الرُّشد من الملّة ولم ينزل الوحي في تحريم الشّعر وحظره وسمعه النَّبي صلى اللّه عليه وسلّم وأثاب عليه فرجعوا حينئذ إلى ديدنهم منه**"، وقول عمر ابن الخطّاب[3]: "**كان الشّعر علم قوم لم يكن لهم علم أصحّ منه فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والرّوم ولهت عن الشّعر وروايته**"، وهذان القولان لا يوافقان حسب "نالينو" حقيقة الأمر البتّة، فالآداب في هذا العصر لم تزل زاهية، والدّليل كثرة رواية الأشعار في كتب التّاريخ المطوّلة مثل: "سيرة ابن هشام"، "كتاب المغازي"

[1] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص 100، 101، 102.

[2] **ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد**، المقدّمة، الجزء الأوّل من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، المطبعة الأدبية، بيروت، ط3، 1900م، ص581، نقلا عن: كارلو نالينو، تاريخ الآداب العربية، ص103.

[3] **السيوطي جلال الدين بن كمال الدين**، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، مطبعة السعادة مصر، دط، 1325هـ، ج2، ص293، نقلا عن: كارلو نالينو، تاريخ الآداب العربية، ص103.

لصاحبه "الواقدي"، "تاريخ الطّبري"، وكتاب "الطّبقات الكبرى" ل"ابن سعد"، وفي كتب الأدب القديمة "كتاب الأغاني" لمؤلّفه "أبي الفرج الأصفهاني"[1].

يقسّم "نالينو" شعراء صدر الإسلام والخلافة الرّاشدة إلى ثلاثة أصناف، وهي[2]:

الصّنف الأوّل: وهم الشّعراء الذين مدحوا النّبي صلّى الله ليه وسلّم سواء أسلموا أم لم يسلموا، وأكثرهم من شعراء المدر، منهم:

كعب بن زهير: نسج كعب قصيدة مدح للنّبي صلّى اللّه عليه وسلّم (البردة) وقصيدة أخرى يمدح فيها الأنصار على منوال أهل البادية "المدح البدوي"، ولم يذكر فيهما محاسن الدّين الإسلامي، وكأنّه كما يقول "نالينو" أراد قائدا وسيّدا على القوم لا نبيّا مرسلا جاء بدين جديد، ويستثني من "البردة" ثلاثة أبيات، قوله[3]:

نُبِّئْتُ أَنَّ رَسولَ اللَّه أَوْعَدنـــــي والعَفْوُ عند رسول اللَّه مأْمولٌ

مهْلاً هداكَ الذي أعطاكَ نافلة ال قرآن فيه مواعيظٌ وتفصيـــــلٌ

وقوله[4]:

إنّ الرَّسول لنورٌ يستضـــــــاء به مهنَّدٌ من سيوف اللَّه مسلـولٌ

الأعشى: مدح الأعشى النّبي صلّى اللّه عليه وسلّم مع أنّه لم يسلم سنة 7هـ، وفي ذلك قوله[5]:

---

[1] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص103.

[2] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص104.

[3] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص104.

[4] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص105.

[5] **الأعشى ميمون بن قيس**، الديوان، الصبح المنير في شعر أبي بصير، مطبعة آدلف هلزهوسن، بيانة، 1927م، قصيدة 17، البيت 14، ص103، نقلا عن: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص105.

نَبيٌّ يَرَى ما لا تَرَوْن وذِكْـــرُه أَغَار لعمري في البلاد وأَنْجُدا

حسّان بن ثابت: وهو شاعر إسلامي، سَبق وذكر "نالينو" شعره في الجاهلية، ولمّا أسلم هجا الكفّار على الأسلوب القديم، وردّ عليهم هجاءهم للنّبي صلّى اللّه عليه وسلّم، من شعره رثاء النّبي صلّى اللّه عليه وسلّم، قصيدة مطلعها[1]:

مَا بَالُ عَيْنك لا تَنَامُ كَأَنَّها كُحِلَتْ مَآقيها بِكُحْل الأَرْمَدِ

إضافة إلى هؤلاء يذكر أيضا: كعب بن مالك، وعبد اللّه بن رواحة الذي كان يعيّرهم بالكفر، أمّا حسّان وكعب فقد عارضوهم بالوقائع والأيّام، وهما أشدّ عليهم من قول عبد اللّه، فلمّا دخلوا الإسلام وفقهوه كان قول عبد اللّه أشدّ عليهم[2].

لقد تفاخر شعراء الفريقين وخطباؤهما أمام النّبي صلّى اللّه عليه وسلّم، ومثال ذلك حين وفدت بنو تميم عليه، فخطب خطيبهم عطارد بن حاجب، وأنشد شاعرهم الزبرقان بن بدر، وأجابهما ثابت بن قيس وحسّان بن ثابت، فقالوا واللّه لخطيبه أبلغ من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا ولهم أحلم منّا[3].

الصنف الثّاني: وهم الشّعراء الذّين رثوا القتلى من المشركين وهجوا النّبي صلّى اللّه عليه وسلّم والمهاجرين والأنصار، ومن هؤلاء عبد اللّه بن الزِّبعرى وضرار بن الخطّاب الفهري والحارث بن هشام بن المغيرة وأبو سفيان بن حرب، وأشعارهم مروية في سيرة الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم وفي المصنّفات القديمة في المغازي والتّاريخ[4].

---

[1] **حسان بن ثابت الأنصاري**، الديوان، مطبعة المحمّدية، بومبي، الهند، دط، 1281هـ، ص 19، نقلا عن: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص106.

[2] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص107.

[3] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص107، 108.

[4] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص108.

الصّنف الثّالث: الشّعراء الذّين أسلموا ولم يؤثّر الإسلام في شعرهم تأثيرا جليّا وأكثرهم من أهل البادية ومنهم: متمّم بن نُويْرة اليربوعي صاحب المراثي، أبو محجن الثّقفي أحد فرسان العرب، الحطيئة جرول بن أوس الشّاعر المعروف من فحول الشّعراء ومتقدّميهم، الذي تصرّف في جميع فنون الشّعر، إلّا أنّه كان مغمور النّسب فاسد الدّين، وقد ارتدّ عن الإسلام بعد وفاة النّبي صلّى اللّه عليه وسلّم وهجا الخليفتين أبا بكر وعمر، ثم أسلم، ولم يزل يهجو أكابر القوم حتّى حبسه الخليفة عمر، فأنشد الحطيئة قصيدة مشهورة يسترضي الخليفة للعفو عنه[1].

يقول في مطلع قصيدته[2]:

مَاذَا تقول لِأَفْراخٍ بِذي مَـــرَخٍ حُمْرِ الحَواصلَ لا ماءٌ ولا شَجرُ

ألقيْتَ كاسِبَهم في قَعْر مُظْلمةٍ فَاغْفِرْ عليك سلامُ اللَّه يا عُمَـر

فعفا عنه عمر، وقد أدرك خلافة عثمان بن عفّان، وقيل تاريخ وفاته 69 للهجرة.

ومن الشّعراء أيضا الشمّاخ بن ضرار الذبياني الذي قيل عنه أنّه أوصف الشّعراء للحمير والقوس وأرجز النّاس على البديهة، وقد كان كثير الهجاء، وله أخوان شاعران: المُزَرِّد وجَزْء، ولم تُنقل إلينا من أشعارهما غير مقطّعات[3].

وذكر "نالينو" أيضا عمرو بن مَعْدِيكْرِب الزُّبيدي اليمني، أشجع العرب، أسلم سنة 10 للهجرة، أكثر شعره في الحماسة والفتوح، ومن الهذليين ذكر: أبو خِراش خُوَيلِد بن مُرَّة

[1] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص109.

[2] **الحطيئة جرول بن أوس**، الديوان، مطبعة التقدّم، مصر، تح: أحمد بن الامين الشنقيطي، دط، 1905م، ص80.

[3] بنظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص110.

وأبو ذُؤَيب خُوَيلد بن خالد، الذي غزا إفريقية مع عبد اللّه بن أبي السّرح، وتوفي سنة 28 للهجرة[1].

إنّ أهل البادية كانوا أبعد النّاس عن روح الإسلام، وهم موصوفون إلى اليوم بقلّة عواطفهم الدّينية، وبهذا لا يظهر تأثير الإسلام جليّا في أفكارهم وعواطفهم وشعرهم، وهناك نوع آخر من الأعراب لم يدخلوا الإسلام إلّا كارهين أو طامعين في الرّبح والمنفعة، فلم يروا النّبي إلّا كملك من الملوك الذين لا يمكن معاداتهم، ومثّلهم بمن كان لديه تعصّب لفضائل أجدادهم لمّا رأوا أنّ الإسلام بدعة تُخالف سنن العرب التي اعتادوا عليها وألفوها، وحثّهم على تغيير بعض القيّم التي عدّدها "نالينو": الأخذ بالثّأر، فخر العرب بأنسابهم واحتقار من ليس منهم، شرب الخمر والميسر، فلمّا جاء الإسلام ساوى بين النّاس، وحرّم الخمر والميسر، ودعا إلى العفو والحِلْمِ، ولمّا كانت هذه القيم راسخة في أذهان الأعراب لم يعتنقوا الإسلام إلّا رغما عنهم[2].

4_ شعر الفتوحات:

إنّ شعر الفتوحات هو نوع خاصّ من الشّعر، وهو امتداد لما عرف في الجاهلية من تخليد العرب لمآثرهم وأيّامهم في أشعارهم ثمّ توارثوها بعد ذلك، فوصفوا الوقائع والمتاعب، والبلدان التي فتحوها، ومن شعراء الفتوح نذكر: "قيس بن مكشوح المرادي"، أحد فرسان القادسية وقَاتِلُ القائد الفارسي "رستم فرخزاد، لو جمعت أشعار الفاتحين من التّصانيف مثل "فتوح البلدان" للبلاذري"، وكتاب "تاريخ الطّبري" لألّفنا منها ديوانا[3].

[1] بنظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص111.
[2] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص112، 113، 114.
[3] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص115.

5_ ديوان عليٍّ بن أبي طالب:

يفنِّد "نالينو" الرأي الذي ينسب ديوانا للخليفة "عليٍّ بن أبي طالب"، ويقول بأنّه من تأليف "الشّريف المرتضى أبي القاسم علي بن طاهر (ت436هـ)"، صنعه أهل الشّيعة لأغراضهم الخاصّة، وأيضا القصيدة الزَّينبية التي هي من تأليف "صالح بن عبد القدّوس المقتول سنة 167هـ، أيّامَ المَهْدي، وما روي عن "علي" فشيء يسير كلّه في الحماسة في كتب التّاريخ وفي كتاب "العمدة" لمؤلّفه "ابن رشيق"[1].

6_ النّثر:

حين يتحدّث "نالينو" عن المنثور في صدر الإسلام يقول عنه بأنّه لم يخرج عمّا كان عليه في الجاهلية، من الحكم والمواعظ والوصايا والحكايات، ما عدا الأحاديث النّبويّة، ولم يدوّن في ذلك العصر كتاب واحد، وإن كان بعض النّاس يقيّدون في بطون الصّحائف شيئا من أحاديث النّبي ومن الحكم، ثمّ ذكر ما للخطابة من شأن في ذلك العصر، وهي ما كانت عليه عند النّبي صلّى اللّه عليه وسلّم والخلفاء الرّاشدين، إلّا أنّه لم تصلنا الكثير من الخطب، وإن وصلت فربّما مسّ بعضها تغيير بزيادة أو نقصان أو اختلاف، ويذكر في هذا مثالا وهو تعدّد روايات خطبة الوداع، وكذا ما نسب إلى "عليٍّ بن أبي طالب" من حكم ومواعظ، ونسب إليه أيضا كتاب "الجفر" وكتاب "الحجاب العظيم" وهو بريء منها كلّيا، ومن الخطباء الذين ذكرهم في هذا المقام: سحبان وائل بن معد القيسي، الذي رُوِيَ عنه في كتاب "الأمثال" للميداني"[2].

[1] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص116.

[2] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص117، 118.

الفصل الثاني

الباب الرابع: الشعر في عصر بني أمية:

يتطرّق "كارلو نالينو" إلى في الفصل الرابع من كتابه إلى الآداب العربية في ظلّ حكم دولة بني أميّة، حيث انتقلت دار الخلافة من الحجاز إلى دمشق، وهذا الانتقال سبّب اختلافا بين سير الآداب في الجزيرة العربية، وسيرها في الشام والعراق، نتيجة الأحداث والفِتن التي حدثت في السَّنوات الأخيرة من الخلافة الراشدة والسَّنوات الأولى من حكم بني أميّة، وقد قسّم المؤلّف هذا الباب إلى تسعة أقسام، هي: 1- الغزل في مدن الحجاز، 2- الشّعر الغرامي والتشبيب عند الأعراب، 3- الشّعر على الأسلوب القديم المألوف عند فحول الجاهليّة، 4- الأراجيز، 5- شعر الفتن والخلافات السيّاسية، 6- الغزل والخمريات والمديح بدمشق[1].

الصّنف الأوّل: الغزل في مدن الحجاز:

لم تَخلُ آداب الأمم السّامية من الأشعار التي تعبّر عن ما في النّفوس والقلوب من شدّة الغرام أو الميل إلى التشبّب بالنّساء والتغزّل بهنّ، ولقلّة الغزل في أشعار العرب الأقدمين سمّي نَسِيباً، أمّا ما يعرضه "نالينّو" في هذا القسم فهو الغزل، ويفرّق بينهما بالاستشهاد بقول "أبي زكريا يحي التبريزي" في شرح حماسة أبي تمّام، حين يقول بأنّ[2]: "النّسيب ذكر الشّاعر المرأة بالحسن والإخبار عن تصرّف هواها به وليس هو الغزل وإنّما الغزل الاشتهار بمودّات النّساء والصَّبْوة إليهنّ والنّسيب ذكر ذلك والخبر عنه"، وقد جعل الشعراء الجاهليّون النّسيب أولى قصائدهم فقط، شكوا فيه شدّة الوجد وألم الفراق ووصف

[1] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص119.

[2] **الخطيب التبريزي**، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، طبعة بولاق، دط، دت، ج3ن ص112، نقلا عن: كارلو نالينو، تاريخ الآداب العربية، ص120.

جمال المحبوبة، ولم يُفْردوا له القصائد طويلة، ونستثني من ذلك قصائد التّشبيب المنقولة في كتب الأدب واللّغة على قلّتها وهي من باب النّسيب لا التغزّل[1]، ولهذا ثلاثة أسباب[2]:

_ الأوّل: التّعبير عمّا في القلب من الهوى والعشق يستدعي كلاما ليّناً، سهل المأخذ، بعيد عن الألفاظ الغريبة، استنكف علماء اللّغة في القرن الثّاني للهجرة عن جمعه، لأنّ غرضهم كان لمّ الأشعار التي فيه غريب الألفاظ والمهمّ من الأخبار.

_ الثّاني: الشّعر في التّشبيب محض عند عرب الجاهلية، تعاطاه رعاع النّاس، فأهانه النّوابغ منهم وأهملوه، واقتنعوا بوضع النّسيب في أوائل القصائد.

_ الثّالث: وهو علوّ منزلة النّظم في الحياة الاجتماعية، فكان الغرض الأسمى من الشّعر الافتخار والحماسة بالقبائل وذكر مآثرهم وهجاء الأعداء.

لقد تعاطى الشّعراء فنَّ الغزل لأوّل مرّة في خلافة "عليّ بن أبي طالب" خلافا لعُرفهم، واشتهر به "أبو دَهْبَل الجُمحي"، وكان من أشراف مكّة، وشعره رقيق ظريف بعيد عن أسلوب النَّسيب البدويّ، وروي أنّه قال أبياتا في "عاتكة بنت معاوية" وفي هذا قصّة طويلة وأشعار، وممَّن سلك مسلكه من شّعراء قريش ومنهم: عمرو بن أبي ربيعة والعرجيُّ وعبد الله بن قيس الرّقيّات[3].

إنّ سبب هذا التقلّب في أساليب الشّعر هو زيادة الثّروة بمكّة والنّعمة واتّساع العيش وما تنزع إليه النّفوس من ملذّات وشهوات وأنواع التّرف وفساد الأخلاق، فلم يهتموا بأمور السيّاسة والحرب ولا بالعلوم العقلية، والانصراف إلى التظرّف والتغزّل وحضور الملاهي، وسماع الغناء، ومن هؤلاء المغنّيين "طويس"، ابن سريج"، "ابن محرز"، "الغَريض المغنّي"

[1] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص120.
[2] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص121.
[3] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص122.

"مَعبد" و "مالك ابن أبي السّمح"، وقد كان الفتيان في موسم الحجّ ينتظرون النّساء ويلتقون بهنَّ في وادي العقيق فيحدّثوهنّ ويتغزّلون بهنّ، وذكر هنا: "الحارث بن خالد بن العاص المخزوميّ" و "عمر بن أبي ربيعة"، كلّ هذا أسهم في ظهور هذا النّوع الجديد (الغزل)، ولم يتجاوزه متعاطوه إلى المديح ولا الهجاء بل تركوا أسلوب القصيدة القديم، وشاع في البلاد بعيدا عن الحجاز[1]، ومن شعراء الحرمين الذّين ذكرهم "نالينو":

عمر بن أبي ربيعة (23هـ-101هـ): وُلِدَ ليلة مَقْتَل عمر بن الخطّاب، كان شاعرا مفرطا في التّشبيب بالنّساء، يتغزّل بكلّ جميلة يراها في الشّارع أو في الحجّ، ومن اللّواتي ذكرهنّ في شعره: زينب بنت موسى، لبابة بنت عبد الله، كلثوم بنت سعد، فاطمة بنت عبد الملك، ثريَّا بنت عليّ، بَغُوم، أسماء وغيرهن، وقيل عنه بأنّه أشعر قريش، لأنّه: "رقَّ معناه ولطف مدخله وسهل مخرجه ومتن حشوه وتعطَّفت حواشيه وأنارت معانيه وأعرب عن حاجته"، فعلى الرّغم من تقرّب شعره من الخلاعة غير مرّة إلّا أنّه لم ينحطَّ أبداً إلى الفحش والمجون، وامتنع أيضا عن الخمريات إلّا حين يشبهّها[2].

ومن الشّعراء الذين سلكوا مذهب "عمر بن أبي ربيعة": "الأَحْوَص المدنيّ الأنصاري" وهو الذي نفاه الخليفة "عمر بن عبد العزيز" إلى جزيرة "دَهْلَك" لكثرة تشبيبه بالنّساء ثمَّ عُفي عنه، ومات بالمدينة، وأيضا "عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفّان" والمعروف ب "العَرْجيّ" وهو أيضا من الذّين ذكروا نساء قريش في شعرهم، و "محمّد بن عبد الله النُّمَيْريّ الذي تشبَّب ب "زينب" أخت الحجّاج بن يوسف"، وأيضا "عبد الله بن مسلم بن جُنْدَب الهُذليّ"[3].

[1] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص123، 124.

[2] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص 126، 127، 127.

[3] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، 130، 131، 132.

ومن المفتونين بسماع الأشعار في التّشبيب من التّابعين "سعيد بن المسيَّب" أحد فقهاء المدينة السبعة في المدينة في تلك الفترة (أواخر القرن الأوّل للهجرة)، و "عرو بن أذينة" أحد أعيان الفقهاء والمحدِّثين بالمدينة، ومن الذين استحسنوا الغناء والأشعار: "أبو السّائب المخزوميّ" وكان من الزهّاد، وأيضا "عَطاء بن أبي رباح (ت114هـ أو 115هـ)" وهو من أجلّاء الفقهاء بالمدينة، والمشهور أيضا أنّ أحد قرّاء مكّة "عبد الرحمن بن أبي عمَّار الجُشَميّ افْتُتِن وشُغِف بقينة من المولَّدات، يخلص "نالينو" إلى القول بأنّ سكّان المدن الحجازية أيّام الخلافة الأمويّة قد أرادوا الغزَل دون فنون الشِّعر الأخرى[1].

الصّنف الثّاني: النسيب عند الأعراب:

يشرع "نالينو" في الحديث عن الصّنف الثّاني (النّسيب عند الأعراب)، وممّا تقدّم فقد ذَكَرَ أنّ فحول الشّعراء الجاهليين لم يفردوا للنّسيب والغزل أشعارا خاصّة بل أدرجوها ضمن القصائد، وفي أواسط القرن الأوّل للهجرة أخذ بعض شعراء أهل الوبر ينسجون قصائد في النّسيب، وصناعتهم هذه على غير أسلوب الجاهليين، ولا الغزليين من أهل المدر، لأنَّهم لا يعْشقون إلّا امرأة واحدة فقط، يتغزَّلون بها فيظهرون رقّة القلب وألم الفراق والصّبابة وقلق الأشواق والكآبة والحزن واليأس في قالب رشيق مترجم بلفظ رقيق وكلام لطيف عفيف لا يدخل فيه شيء من الخلاعة والشّهوة الدَّنيَّة[2].

كان جميع الشّعراء من هذا الصّنف من قبائل قاطنة في الحجاز أو شماليّ اليمن ليست بعيدة عن الحرمين، ومنهم "بنو عقيل" جنوبي مكّة، و "بنو ليث" بظاهر المدينة،

[1] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، 134، 135.

[2] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، 135، 136.

و"بنو عذرة" بوادي القُرَى، وهذه القبائل إمّا أصلها اليمن أو كانت مقيمة به كأنَّ رقّة القلب أكثر في أهل اليمن منها في غيرهم، وفي ذلك أبيات منسوبة إلى "مجنون ليلى"[1]:

وإنِّي يَمَانِيٌّ الهَوَى مُنْجِدُ النوى سَبيلانِ أَلْقَى من خِلَافهما جَهْدَا

ومن أشهر الشّعراء العشّاق "تَوْبَة ابن الحُمَيِّر" من بني عقيل، ومن جيّد شعره ما قاله في "ليلى الأَخْيَلِيّة"، وهي قصيدة مطلعها[2]:

نَأَتْكَ لَيْلَى دارُها لا تزورُها وشطَّتْ نَواها واستمرَّ مَرِيرُها

ومن الشّعراء أيضا: قَيْس بن ذَريح الكِنَاني اللَّيثيّ (ت68هـ)، الذي أحبّ "لُبْنَى من بني كعب بن خُزاعة" التي تزوّجها ثمَّ طلّقها كارها، فذاب كَبِدُه عليها وجداً وصبابة، وقال فيها القصائد المُشْجِية، ومن العشّاق أيضا: "عُرْوَة بن حِزام العُذْري" الذي له شعر في "عفراء" بنت عمّه التي زوَّجها والدها برجل آخر فاشتدَّا وِجْدا عليها حتَّى جنَّ، وهو أقدم الشّعراء المتيَّمين المعروفين إن صحّت الرّوايات[3].

كان "جَميل بن عبد الله بن مَعْمَر" مقدَّما على سائر شعراء النّسيب في البادية، اشتهر بعشقه ل "بُثينة العُذرية" وقال فيها أشعارا كثيرة، وكانت صبابته سببا في اشتعال العداوة بينه وبين بني الأحبّ رهط "بثينة" فتهاجوا فيما بينهم، من شعره قوله[4]:

خليليَّ فيما عِشتُما هل رأيتما قتيلاً بكى من حبِّ قاتله قَبْلِي

---

[1] **أبو الفرج الأصفهاني**، الأغاني، طبعة بولاق، دط، دت، ج2، ص11، نقلا عن: كارلو نالينو، تاريخ الآداب العربية، ص137..

[2] **أبو الفرج الأصفهاني**، الأغاني، ج10، ص69، نقلا عن: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص137.

[3] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص138، 139.

[4] **أبو الفرج الأصفهاني**، الأغاني، ج1، ص51، نقلا عن: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص140.

إنّ أشهر هؤلاء كلّهم هو "قَيْس بن المُلَوَّح"، الملقّب ب "مجنون ليلى" أو "مجنون بني عامر" لذهاب عقله من شدّة عشقه ل "ليلى العامرية" التي كَرِهَه أبوها وزوّجها لغيره، وقد نُحِل إليه شعر كثير كما يقول أهل الأدب، فمثلا يقول الجاحظ[1]: "ما ترك النّاس شعرا مجهول القائل قيل في ليلى إلّا نسبوه إلى المجنون ولا شعرا هذه سبيله قيل في لبنى إلّا نسبوه إلى قيس بن ذريح"، وقد غُنِّيت أشعاره من طرف "ابن مُحْرِز" و "الأخضر الجدّي".

القسم الثّالث: الشّعر على أسلوب فحولة الجاهليّة

في هذا الصنف، يشير "نالينو" إلى أنّ الشعر العربي في القرن الأوّل شهد انقلابا كبيرا وشديدا عن الأساليب القديمة، ومن ذلك كَلَفُ أهل المُدن الحجازية بالغزل الذي لم يتعاطى غيره شعراء مكّة والمدينة والطائف، وأيضا اختصاص أهل نجد واليمن والقبائل الحجازية بإفراد قصائد طويلة للنسيب خلافا على المتقدّمين، أمّا في الشّام فيرى بأنّ قريض الشّعر كان على مجرى فنون شعر الجاهليين، وكان الخلفاء الأمويون يُجزلون أصحاب النَّظم الجيِّد بالجوائز البهيّة[2].

يعدّد "نالينو" أسباب حصر شعراء المدن الحجازية شعرهم في النسيب والغزل، ونهجهم طرقا غير مألوفة عند الشعراء النوابغ الجاهليين، وهذه الأسباب هي: تغيّر أحوال المدن الحجازية الاجتماعية بعد ظهور الإسلام، زيادة الرّفاهية والثّروة والتّرف، قلة اشتغال أبناء المدن الأغنياء بأمور الحرب والسيّاسة، عدم الاعتناء بالعلوم النّظرية العقلية المجهولة[3].

أمّا أحوال الشام التي كان أغلب قاطنيها من غير النّاطقين بالعربية، فلم يتمَّكنوا _يعني "نالينو" بهذا القرن الأوّل للهجرة_ من تعاطي الشّعر العربي ولا فهم محاسنه، فانفرد به أهل بادية الشّام والمرتحلون إليها في فترة الفتوح وبعدها، ولقلّة استيطانها من قبل العرب

[1] **أبو الفرج الأصفهاني**، الأغاني، ج1، ص169، نقلا عن: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص141.

[2] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص142.

[3] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص143.

فإنّ مدن الشام الكبيرة مثل دمشق والقدس وحمص وأنطاكية في أواخر القرن الأول بقيت كما هي قبل الفتح الإسلامي تقريبا، بينما كان أغلب رجال السيّاسة والجند في الشّام من قريش، من بني أميّة تحديدا، وأغلب الذين وفدوا عليها هم من أهل البادية والقبائل أكثر من أهل المدن (مكة، المدينة، الطائف، المدن اليمنية الكبرى...الخ)، الذين آثروا الاستقرار في أوطانهم[1].

وقد كان من بني أميّة أن أحبّوا مصاهرة قبيلة كلب من أولاد قَحطان الذين سكنوا بين نجد والعراق والشّام (تدمر، دومة الجندل، تبوك، سليمة، بادية السّماوة)، وأكرموا أيضا وفود أهل البادية وأنعموا عليهم بالهدايا والجوائز، ولكن عيش التّرف والملذّات والمدن كما كان قليل التأثير في العرب، فلم يُغرهم عيش السّريان والرّوم، وكانوا دائما ما يهيمون إلى البادية ويحنّون إلى نوقها، أو ما أطلق عليه "العَيْمة" أي شهوة اللّبن أو مثل "داء الوطن" nostalgie المعروف في وقتنا هذا، وهذا شكّل خطرا على الدّولة الإسلامية، فخاف الخلفاء الرّاشدون من أن يرجع العرب إلى أوطانهم ويعدلوا عن ضبط الأمصار، فيقوى عدوّهم ويسترجع البلاد المفتوحة، فأنشأ الخليفة "عمر" البصرتان (البصرة والكوفة) كمقامات متوسّطة بين الحضر والبادية، وأمر الخلفاء ألّا يدفع العطاء لغير المهاجرين[2]، وفي تفضيل العرب للبادية على الحضر، ذكر "نالينو" مجموعة شواهد منها قول الأخطل[3]:

سَقَى اللهُ مِنْهُ دَارَ سَلْمَــى بِرِيَّةٍ على أَنَّ سَلْمَى لَيْسَ يُشْفَى سَقِيمُهَا

مِنَ العَرَبِيَّاتِ البَوَادِي وَلَم تَكُنْ تُلَوِّحُهَا حُمَّى دِمَشْقَ وَمُومُـــــــــهَا

[1] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص143، 144.

[2] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، 144، 145، 146.

[3] **الأخطل غياث بن غوث**، الديوان، تح: أنطوان الصالحاني اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، دط، بيروت، 1891م، ص121.

لقد قصد الأمويون البوادي من أجل أن يحافظوا على فصاحة اللّغة العربية فلا يَفسدَ لسانهم ولا يَلحنَ أطفالهم، فقد كانت البادية مدرسة للأمراء، وإليها خرج الخلفاء الذين واظبوا على التَّبَدِّي (خروج الأشراف إلى البريّة بعد هطل الأمطار والإقامة بالصَّحاري بقيّة السَّنة) أمثال "معاوية" الذي كان يشتو في "الصِّنَّبْرَة" بالأردن، و"يزيد" في "حُوَارين" وهي بين دِمَشْق وتَدْمر، ولكن هذا لم يمنع الخلفاء من تشييد المباني والقصور وتزيينها وزخرفتها وتحسينها بالنقوش وجعلوا فيها الحدائق والحمّامات، ومن هذه القصور التي ذكرها: الموقّر والقسطل وفدين وأباتر والنّجراء والأغدف والأزرق والمشتى وغيرها، والتي أسماؤها مذكورة في تأليفات العرب وأشعارهم[1].

مما يخلص إليه "نالينو" في ذكر هذا هو محاولته إثبات[2]:

_ أوّلا: معظم الذين انتقلوا من جزيرة العرب إلى بلاد الشّام للإقامة بها في زمان الفتح وبعده كان من أهل البادية لاسيما من القبائل اليمنية.

_ ثانيا: انشغل رجال قريش المرتحلين للشام بالسياسة والسلطة، ولم يتعاطوا الشعر، ولكن أحبّا وعظّموا قائليه.

_ ثالثا: سكان مدن الشام من الروم والسريان كانوا قليلي المعرفة باللّغة العربية، ومثل ذلك أيضا سكّان العراق الأصليين من الفرس والآراميين.

_ رابعا: الأعراب المهاجرين للشّام والعراق كرهوا العيش بالمدن، ونظموا أشعارهم على أسلوب فحول الجاهلية، ونهجوا طرقهم في المدح والغزل والنسيب والهجاء وذكر الخمر.

[1] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص148، 149، 150.

[2] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، 150، 151.

ينتقل "نالينو" بعد ذلك إلى ذكر الشّعراء الذين أدركوا أسمى منزلة في الشّعر في هذا الصّنف، وهم "الأخطل" و"الفرزدق" و"جرير"، وتطرّق إلى ترجمة كلّ شاعر على حدة، وبدأ من أقدمهم سنّاً.

أ_ الأخطل، غياث بن غوث بن الصّلت التغلبي: شاعر عربي نصراني، من بني تغلب التي استوطنت قسما من الجزيرة، لا تعرف عنه سنة ميلاده ولا وفاته بالتّحقيق، والمعروف أنّه توفّي في خلافة الوليد بن عبد الملك، اشتهر بالشّعر شابا في عهد معاوية، وقد أورد "نالينو" أبياتا للشّاعر يظهر فيها أنّه قد مزج بين ديانتين: الإسلام والنصرانية، ويردّها إلى ما شرحه سابقا عن قلّة العواطف الدّينية لأهل الوبر[1].

اتّصل الأخطل بأمراء وخلفاء بني أميّة وبيان ذلك ما حدث حين تشبّب عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت برملة بنت معاوية ما كاد أن يهتك به عرضها بغضا للأمويّين، فدعا يزيد كعبا بن جُعَيل لهجاء الأنصار ولكنَّه رفض خوفا منهم ودلَّ على الأخطل الذي قال فيهم أبياتا مشهورة، وحسب "نالينو" هذه الرّواية فيها نَظَر، كأنَّها من روايات عرب الجاهليّة لِما فيها من هجاء وإقذاع دفاعا عن العِرض، بل وقال بأنَّ سبب هجاء الأخطل للأنصار هو سبب سيّاسي[2].

يدور ديوان الأخطل على أقطاب: مدح خلفاء وأمراء بني أميّة، الافتخار بحروب قومه مع القيسيين، هجاء الزبيريين والعلويّين أعداء بني أميّة وذكر الخمرة وملذّاتها، وله قطعة في رثاء يزيد بن معاوية وهذا عجيب على حدّ قوله[3].

كما يظنّ "نالينو" أنّ سبب معاقرة الأخطل للخمرة ليس حبّاً فيها فقط بل غرضه الاقتداء بالشّعراء النوابغ الجاهليين، وسلك في النّسيب مسلكا غير مألوف في قصائد

[1] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص151، 152.
[2] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص155.
[3] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص155، 156.

الجاهلية، وقد كان هجاؤه على قول "عمر بن شبّة"[1]: "كان أخبثهم هجاء في عفاف من الفحش" مخالفا أساليب كثير من السّلف ومعاصريه جرير والفرزدق[2].

ب_ الفرزدق، همّام بن غالب الدّارمي: من بني تميم الذين سكنوا نواحي البصرة، ولد أواخر خلافة عمر بن الخطّاب، وتوفّي سنة 110هـ، أو 111هـ، وقيل 112هـ، وقيل أيضا 114هـ، كان رحّالا، وفد على خلفاء بني أميّة الوليد وسليمان ابنا عبد الملك وعمر بن عبد العزيز، وقد كان على جيدة شعره دنيء النّفس، يمدح من نال منه الجوائز ويهجو من لم يشذُف منه ما رجا فيشتمه ويسبّه سبّا قبيحا[3].

وقد قال الفرزدق قصيدة غرّاء على كبره في مدح زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب الذي صادفه في الحجّ لمّا ذهب مع هشام بن عبد الملك فأنكره هشام، فعرّفه الفرزدق بقصيدة أبرز فيها هواه العلويّ[4]، مطلعها[5]:

هَذا الذي تَعْرِفُ البَطْحَاءُ وَطْئَتَهُ والبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالحِلُّ والحَــرَمُ

هذا ابْنُ خَيْرِ عِبَاد الله كلِّهـــــمُ هذا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ العَلَمُ

فما كان من هشام إلّا أن غضب منه وسجنه بين مكّة والمدينة، ولكنّ هذا لم يمنعه من نظم قصائد في مدح الأمويّين على الأسلوب الجاهليّ، وقد تعاطى الفرزدق على

---

[1] **الأصفهاني أبو الفرج**، الأغاني، طبعة بولاق، ج7، ص187، نقلا عن: كارلو نالينو، تاريخ الآداب العربية، ص157.

[2] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص156، 157.

[3] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص158.

[4] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص159.

[5] **الأصفهاني**، الأغاني، ج19، ص40، 41، نقلا عن: كارلو نالينو، تاريخ الآداب العربية، ص160.

خلاف الأخطل الرّثاء ونظم فيه قصائد، أمّا الخمريات فلم يقل فيها إلّا شعرا قليلا، والغزل له فيه قصيدة طويلة ومقطّعتان في غاية الخلاعة والفسق شبيهتان بمجون أبي نوّاس[1].

وقد افتخر الفرزدق أيضا بقبيلته بني تميم وجعلها فوق سائر النّاس، أمّا عن نفسه لم يقدر أن يفتخر بمآثره لأنّه كان من أجبن النّاس، ولكنّه وصف ذبحه الغنم للقرى كأنّه يخلّد قتالا شديدا ومرعبا كما يقول "نالينو" عنه، أمّا الهجاء فقد كاد يملأ نصف ديوانه به، وهذا الهجاء بشع قبيح فيه شتم وتعيير وابتهار في الأمّهات والأخوات، وعموما كان شعره أوفر ألفاظا من شعر الأخطل، فقد قال عنه النّحوي "يونس بن حبيب"[2]: "لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب"، وقد قال عنه "نالينو" بأنّه قد سرق أبيات السّابقين والمعاصرين، فكان أكثر الشّعراء تنحّلا، بل اضْطَرَّ بَعْضَهم إلى ترك شعرهم له كأنّه أحقّ به[3].

ج_ جرير بن عَطِيَّة بن الخَطَفَي اليربوعي: من بني كليب وهي حيّ من تميم، عاش في البصرة ولازم الحجّاج بن يوسف وأكثر الثّناء عليه، وسكن اليمامة وبها مات سنة 110هـ وقيل 111هـ[4].

دار ديوان جرير بين الهجاء والمديح والرّثاء، فأمّا الرّثاء فيسير وكلّ مقطّعة منه لا تشتمل إلّا على بيتين أو ثلاث، أمّا المديح فله في الحجّاج بن يوسف الثّقفي وفي عبد الملك بن مروان ومن خَلَفه من أبناءه، الوليد وهشام، وقد جرى المدح على الأسلوب الجاهلي الذي يمدح سّادة القبائل والأشراف، يدرج فيه تارة عبارة دينية وإشارات قرآنية،

[1] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص165.
[2] **الأصفهاني**، الأغاني، ج19، ص48، نقلا عن كارلو نالينو، تاريخ الآداب العربية، ص167.
[3] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص167.
[4] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص168.

وأورد قصيدة خرجت عن هذا، وقال عنها بأنّها افتخار إسلامي محض مصوغ في قالب القدماء[1]، والتي مطلعها[2]:

أَبُونَا أبو إِسْحَاق يَجْمَع بَيْنَنا أبٌ كَان مهديًّا نبيًّا مطهَّراً

لم يصغ جرير في الغزل أبدا مثل الأخطل لبعده عن أساليب أهل القبائل، وقد ذكر الأطلال والدّمن على منوال الشّعر الجاهلي، وربّما عدل عنه كأنّه اقتدى بالأخطل فجاء بذكر الغواني في بعض قصائده[3].

ومثال ذلك قوله[4]:

إنَّ الغَواني قد قَطَعْنَ مَودّتي بَعد الهَوى ومَنَعن صَفْو المَشْرِبِ

أمّا الهجاء فمثّل ثلثي شعره، وهو هجاء لاذع جدا، لا يخلو من قذف النّساء والفحش والكلام البذيء مثل الفرزدق، فلم يزل يهجوا الشّعراء طول عمره، وقيل[5]: "كان ينهشه ثلاثة وأربعون شاعرا فينبذهم وراء ظهره ويرمي بهم واحدا واحدا ومنهم من كان ينفخه فيرمي به وثبت له الفرزدق والأخطل".

كانت بداية التّهاجي في البدء بين وجرير والبَعيث من بني مجاشع رهط الفرزدق، فلمّا غَلَب جرير على شاعرهم اضْطَرُّوا الفرزدق للدخول بينهما كرهاً، فدافع عن عشيرته من غير شتم كليب عشيرة جرير، هذا الأخير الذي أجابه بشدّة، فالتهبت نيران العداوة بينهما،

---

[1] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص168، 169، 170.

[2] **جرير بن عطية بن الخطفى**، الديوان، المطبعة العلمية، مصر، ط1، 1313هـ، ص107، نقلا عن: كارلو نالينو، تاريخ الآداب العربية، ص171.

[3] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص171.

[4] **جرير**، الدّيوان، ج1، ص10، نقلا عن: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص172.

[5] **الأصفهاني**، الأغاني، ج7، ص40.

ومن القصائد يستخرج أَنّ مدَّة التَّهاجي كانت أربعين سنة، بعد موت معاوية سنة 64هـ، إلى خلافة هشام بن عبد الملك سنة 105هـ[1].

إنَّ [2]"النقيضة في اصطلاح علماء اللّغة والأدب هي قصيدة ينسِجها شاعر نقضا لما قاله شاعر آخر بشرط أن يحفظ بحر وروِيِّ القصيدة التي يخالفها ويعارضها"، أمّا من جمع وشرح نقائض الفرزدق وجرير هو "أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنَّى (ت207هـ)، وشرحها أيضا "اليزيدي أبو عبد اللّه محمّد بن العبّاس (ت300هـ)، التي رواها عن الحسن بن الحسين السكّري (ت275هـ) والذي رواها هو أيضا عن أبي جعفر بن محمّد بن حبيب (ت245هـ)، وهي رواية تضمّنت 113 قصيدة، 62 لجرير، و38 للفرزدق، و6 للبَعيث و5 لغسان بن هذيل وواحدة عقبة بن مُلَيْص وواحدة لنُعيم بن شَريك[3].

أمّا نقائض الأخطل وجرير فقد جمعها وشرحها "أبو تمّام (ت228هـ)"، ولها نسخة خطّية في مكتبة جامع بايزيد بالقسطنطنية، وقصائدها مُثبتة في ديواني الشّاعرين عكس نقائض الفرزدق وجرير، والنَّقائض هي كتاريخ يُسجّل أحوال وأخبار الرّجال والفرسان والأزمنة والأمكنة والبلدان والقرى التي لم نكن لنعلمها إلّا من حلال هذه النّقائض[4].

يُفرد "نالينو" في الأخير رأيه في اختلاف العلماء في تفضيل الشّعراء الثّلاثة على بعضهم فيقول، فيقول بأنّ الأخطل [5]"فاق معاصريه في التّصرف في النّسيب الخالي عن التكلّف الصّادر عن القلب، ثمّ في فخر المدائح وفي العفاف عن الفحش".

---

[1] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص173، 174.

[2] **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص174.

[3] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص174، 175.

[4] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص175.

[5] **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص177.

أمّا الفرزدق فقد [1]"فاق سائر الثّلاثة في وفرة المراثي وجودتها ورشاقتها ثمَّ في التّصرّف في اللّغة[2]" أمّا أهاجي جرير كلّها تدور على أربعة أشياء هي القين والزناء وضرب الروميّ بالسّيف والنّفي من المسجد"، ويقول بأنّ هذا حكم غير منصف سبق وإبطاله ضياء الدّين نصر اللّه ابن الأثير الجزري[3].

يذكر "نالينو" من شعراء هذا الصّنف أيضا "ذي الرُّمَّة غَيْلان بن عقبة (ت117هـ)" وهو من الشعراء المجيدين، وله ديوان وصل إلينا في نحو ثمانين قصيدة وعشر منها أراجيز، وهو المقصود بقول أبو عمرو ابن العلاء[4]: "إنّ الشّعر فُتح بامرئ القيس وخُتم بذي الرُّمَّة"، فلم يزل بدويا محضا متمسّكا بأساليب القريض القدمي لغة ومعنى وموضعا، وأفكاره وأنواع وصفه تجري مجرى أعراب الجاهليّة، وفي شعره الكثير من الوحش وغريب الألفاظ والتراكيب الصّعبة لما فيها من التّقديم والتأخير، وقد تعاطى الأراجيز أيضا، على مسلك القدماء، فلم يخرج عن مناهج الفحول إلّا نادرا، وكان جيّد التشبيه، كثير الأخذ من أبيات غيره[5].

من شّعراء هذا الصّنف أيضا "عبيد بن حصين النميري" المعروف ب "الرّاعي النّميري" لكثرة وصفه للابل، مال للفرزدق فهجاه جرير، وقد وصلنا من شعره القليل فقط، و"مُرَّة بن مَحْكان السَّعدي" سيّد بني رُبَيْع، و"العُدَيْل بن الفَرخ العجلي" الذي هجا الحجّاج بن يوسف، وأيضا "العُجَير السَّلُولي" الذي مدح عبد الملك بن مروان، و"عَقيل بن عُلَّفة المُرِّي"، و"البَعيث المجاشعي" وهو من خصوم "جرير"، ومنهم "الصلتان العبدي" الذي اجتمع إليه الحكم بين "جرير" و"الفرزدق"، ومنهم أيضا "عمر بن لجأ" وهو من خصوم

---

[1] **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص177.

[2] **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص177، 178.

[3] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص177، 178.

[4] **الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر**، البيان والتبيين، المطبعة العلمية، القاهرة، ط1، 1311هـ، ج2، ص184.

[5] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص179، 180.

"جرير"، و"يَعْلى الأَحْول بن مسلم اليَّشْكُريّ" الذي كان صعلوكا ولصّاً فاتكاً خليعاً، ومنهم "عُوَيْفَ القَوَافي الفَزَاريّ"، الذي تعاطى الهجاء والمديح والرّثاء، وغيرهم كثير[1].

الصنف السّادس: شعر الفتن السيّاسيّة والدّينية:

يتّصل هذا الصّنف بالصّنف السّابق (شعر الجنود) الذي يخصّ الجهاد في حدود الدّولة الإسلامية أو خارجها أو غارات القبائل على بعضها البعض لأسباب سيّاسية أو دينية، وهذه الأخيرة نادرة كما يقول "نالينو"، بينما هذا الصّنف هو ما كان غير مرتبط بالحروب من الجنسين السّابقين، فهو يخصّ حروبا تدور بين حزبين سيّاسيين (حروب مصالح)، أو قتال المرتدّين وأهل البغي.

يفرّق "نالينو" بين الحزب السيّاسي كما هو معروف عند العرب وعند الافرنج، فالحزب السيّاسي عند العرب هو بالضّرورة مذهب ديني، لا يميّز بين الدّين والدّنيا في أمور السيّاسة والحكم لأحكام الشّريعة الإسلامية، عكس ما هو عند الافرنج حيث لا تتأسّس عندهم الأحزاب على الأمور العقائدية.

تُعرّف الإمامة عند المسلمين بأنّها مسألة شرعيّة مثل سائر مسائل الفقه، وفيها يقول الحسن الماوردي: "إنّ الإمامة أصل تستقرّ عليه قواعد الملّة وتنتظم به مصالح الأمّة"، وهي خلافة النّبوّة في حراسة الدّين وسياسة الدّنيا، والفرق بينها وبين الخلافة يكمن في أنّ منصب الخليفة دنيوي، ويقوم على رعاية مصالح السّكان المسلمين الدّنيوية، أمّا الإمامة فهي دينية، كونها ولاية اللّه على الأرض بِحفظ الإسلام من البدع والفساد والبقاء على الشّريعة، لأجل هذا يصعب حسب ما يراه "نالينو" في أشعار حروب عهد بني أميّة الفصل بين ما هو منظوم في حروب الأحزاب السيّاسية من جهة والاختلافات الدّينية من جهة أخرى.

[1] ينظر، **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص181، 182، 183، 184.

يستفاد من شعر هذا الصّنف قيمته الأدبية، وأيضا ما يظهر فيه من أحوال اجتماعية، إذا أردنا البحث العميق والدّقيق في تاريخ المشرق الإسلامي في ذلك العصر، ويظهر أيضا للباحثين التّاريخ الحقيقي للأحداث والوقائع وتسلسلها وانقلابات الأحوال الاجتماعية والأفكار، فالأشعار تقوم مقام الصّحف ومناقشات المجالس العمومية، وتترجم أفكار قائليها، في وقت كان الرّواة المرتحلون بمثابة جريدة تشيّع آراء حزبها في الجمهور، فنقول بأنّها أهمّ ما يدلّ على حياة العرب الاجتماعية وأنواعها وعواطفها في تلك الفترة[1].

يعود "نالينو" إلى فتنة قتل الخليفة "عثمان بن عفّان" رضي الله عنه، حيث نمت العداوة بين الفرقاء، واشتعلت نار الحرب بين من طالبوا بالثّأر لمقتل "عثمان" وأنصار "علي"، بين أهل الشّام وأهل العراق، والتقى الجمعان في صفّين كما هو معروف، وانقسموا ثلاثة أقسام: قسم طالب بالثأر من قتلة "عثمان"، قسم تشيّع للخليفة "عليّ"، وقسم اعتزلوا الحرب وسُمُّوا بالمعتزلة كما يقول، وكان منهم "أبو موسى الأشعري" و"سعد بن أبي وقّاص" و"المغيرة بن شعبة"[2].

كان التّحكيم الفصل بين الفريقين، حيث التقى "عمرو بن العاص" ب"أبي موسى الأشعري" بمنطقة "أذرح" (منطقة في الأردن حاليا)، وكانت نتيجة التحكيم كما يراها "نالينو" أن "عليّا" قد عُزِل من الخلافة ولم تبق له غير ولاية العراق والحجاز، وبقيت ولاية مصر والشّام ل"معاوية"، أي أنّه ساوى "عليّا" في الحكم[3].

ما نتج عن التّحكيم أيضا خروج جماعة من أصحاب "عليٍّ"، وهم الذّين لم يرضوا بالحكم، وأنكروا على الحكمين تفويض حلّ مسألة حكم الله لرجلين، ونادوا بالقول: "أن لا حكم إلّا لله"، فخرجوا إلى حروراء، فسُمُّوا بالخوارج أو الحرورية، وبعد خروجهم بأربعة

[1] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص228.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص231.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص232.

وعشرين سنة افترقوا على أربعة فرق: الأزارقة، الصّفرية، البيهسية، الإباضية، وتفرّق أصحاب عليٍّ بعده بين من قالوا بتوارث الإمامة في أهل البيت وآخرون أنكروا عليهم ذلك، وممّا زاد ذلك حدّة ميل الموالي الفرس لشيعة "علي"، ومن عواقب التّحكيم أيضا ظهور حزب الزبيريين بالحجاز والعراق، فقد تمّت مبايعة "عبد الله بن الزبير" سنة 64هـ[1].

إنّ أوّل فرقة تطرّق إليها "نالينو" هي الخوارج، والذّين كثر ذكرهم في الكتب: البيان والتبيين للجاحظ، العقد الفريد لابن عبد ربّه، الكامل للمبرّد، أمّا شعرهم فهو شعر بدويّ فصيح العبارة يدور أغلبه حول الحماسة والحرب، وكانوا أقرب لأهل الوبر، وقد يتّضح أمر التّناقض في مخالفتهم وهو على صلاتهم ونُسُكهم وكثرة قراءتهم للقرآن أميال الأعراب وشعائرهم، وهذا يرجع حسب "نالينو" إلى أنّ القرّاء الذّين خرجوا على رأس الحروريين كانوا من أهل الحضر، فرأوا في التّحكيم إفسادا للدّين، أمّا الأعراب الذّين انضمّوا إليهم اتّبعوا هؤلاء القرّاء بسبب مجاورتهم لهم من حيث السّكن، وموافقتهم لهم في مسألة الحكم، فالإمامة عندهم لا تكون إلّا بالاختيار غير المحدود، وحقّ اشتراك الجماعة بأسرها في الاختيار، وهذا وافق حبّ الاستقلال والتمسّك بالعادات القديمة عند الأعراب، وكرههم لكلّ نظام خاصٍّ ومخالف، ومن شعراء هذا الصّنف[2]:

قَطَرِيّ بن الفُجاءَة: رئيس الأزارقة، خرج على ولّاة العراق، وظل يقاتل حتّى قتل سنة 77هـ، له قصيدة مشهورة في الحماسة، مطلعها:

أقول لها وقد طارت شُعاعا من الأبطال ويحك لن تراعي

فإنك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذي لك لم تطاعي

[1] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص232.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص234، 236، 237.

عِمْران بن حِطَّان السَّدوسي: من علماء الصّفرية، طلبه الحجّاج فظلّ هاربا منه، ومات في قبيلة الأزد، وكان ممّن عاصر الفرزدق، له أبيات في مدح ابن ملجم قاتل علي.

الطِّرِمَّاح بن حكيم: من فحول الشّعر الإسلامي، كان فصيحا بارعا في الخطابة على مذهب الشّراة الأزارقة، ولد بالشّام وانتقل إلى الكوفة، مدح الأمويّين وهجا بني تميم ثمّ انضمّ إلى الخوارج.

شعراء الشّيعة:

لم يكن شعراء الشّيعة ميّالين للحرب كنظرائهم الخوارج، ولكنّهم أكثروا من مدح آل البيت، أبناء "علي" وأحفاده، ونذكر منهم[1]:

كثير بن عبد الرّحمن الخزاعي: الملقّب ب"كثير عَزَّة" لتشبُّبه ب"عزّة" الضَّمْريّة، وقيل عنه بأنّه كان يدّع الصبابة والعشق، وقد عرف عنه اتِّصاله بالشّيعة الكيسانية، وشعره يدخل ضمن الشّعر الغراميّ البدويّ.

يخوض "نالينو" في مسألة الإمامة، حينما يتحدّث عن تأثير مذاهب العجم، الفرس واليهود على الشّيعة في قضيّة توارث السيّادة، وهو توريث الحكم في أبناء الأكاسرة ملوك الفرس، عكس ما هو معروف عند العرب، فالعرب لا يتوارثون السيّادة بحقِّ ميراث الابن في ملك أبيه، وإنّما باختيار رجال القبيلة له، وهذا أحد أسباب ميل الفرس إلى الشّيعة، لمّا رأوا مقاومتهم لبني أميّة كمثل قيام على سلطة العرب فانضمّوا إليهم، بغضا في العرب المتغلّبين على بلادهم[2].

[1] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص239، 240، 241.

[2] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، 241.

لم تستصوب الأمم الشّرقية انقطاع النّبوّة أيضا، فالنُّبُوَّة عندهم تمثيل قدرة الله على الأرض، وعنايته بأمور النّاس، فحملهم هذا على الاعتقاد بتوارثها في آل البيت، ونزعوا عنهم لفظ النّبيّ، واعتمدوا لفظ المهديّ أو الوصيّ أو الإمام[1].

لقد اعتقد الكيسانية ببقاء رسالة الله في عِتْرة النّبيّ، وختموا سلسلة إمامتهم بمحمّد ابن الحنفيّة، فهم ينفون موته، ويعتقدون بأنّه غائب مدّة بجبل رضوى، ثم يرجع ليملأ الدّنيا عدلا كما مُلِأَت شرًّا وجورا، وهذا هو اعتقاد السيّد الحميريّ، بينما ذهب فريق آخر من الكيسانيّة إلى القول بانتقال الإمامة وأسرار العلوم إلى "أبي هاشم ابن محمّد بن الحنفيّة"، الذي أوصى بالإمامة من بعده إلى "محمّد ابن عليّ ابن عبد الله ابن العبّاس"، ثمّ إلى ابنه "إبراهيم ابن محمّد" وأخيرا إلى أخيه "أبو العبّاس السّفّاح بن محمّد" وهذا الاعتقاد عند الشّيعة هو ما أوصل السّفّاح إلى تأسيس الدّولة العبّاسيّة[2].

لقد زعم جملة من الشّيعة أيضا في القرنين الأوّل والثّاني للهجرة أنّ النّبوّة أو الرّسالة والتي عندهم هي روح الله نُزِّلت في "النّبي محمد صلّى الله عليه وسلّم"، فلمّا مات تحوّلت روحه إلى "علي"، فلمّا مات علي إلى ابنه الأكبر وهلمّ جرًّا، وممّن قالوا بهذا الشّاعر المذكور "كثير عزّة"، وهنا يَخْلُص "نالينو" إلى نتائج مهمّة، هي: الإمامة أو الخلافة ليست إلا نبوّة، الإمام أي الخليفة صاحب صفات الأنبياء، الإمامة أي الخلافة لا تنتقل إلّا من ميّت إلى حيّ لا تنقطع، عزل الإمام مستحيل، الأرض لا تخلوا من إمام أبدا وإن كان غائبا مستورا عن الأعين، يستحيل وجود إمامين في وقت واحد، لا تقلّد الإمامة باختيار العامّة من النّاس[3].

[1] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص240.
[2] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص243
[3] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص244.

السَّيِّد الحِمْيَري أبو هاشم إسماعيل بن محمّد (ت171هـ): هو شاعر شيعي متقدّم، كان يفرط في سبّ الصّحابة وأزواج النّبي صلّى الله عليه وسلّم، ويقذف ويطعن فيهم، لهذا هجر النّاس شعره، ولكنّ شعره موصوف بالجزالة والرونق والمتانة والامتناع عن غريب الألفاظ، وكان هو و"كثير عزّة" من الكيسانية غلاة الشّيعة[1].

الكُميت بن زيد الأسدي (ت126هـ): وهو شاعر شيعيٌّ معتدل من أهل الحضر، كان يهجو القحطانيين لِمَا كان لهم من التعصّب للدّولة الأموية، وقد اشتهر بقصائده "الهاشميّات" في مدح بني هاشم أي آل البيت[2].

لقد كان لشعراء الشّيعة شعر جيّد، عمِلت فيه أسباب ثلاث: الطّمع في الجوائز، والخوف من أهل السّلطان، ورأي الشّيعة في التّقيّة، وهذا يفسّر مدحهم أحيانا لبني أميّة وإن كانوا في قلوبهم يلعنونهم ويقولون بكفرهم[3].

شعراء المرجئة:

يقول الشّهرستاني عن المرجئة بأنّهم كانوا: "يؤخّرون العمل على النيّة والقصد، ويقولون لا تضرّ مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وقيل الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيّامة، فلا يقضى عليه بحكم ما في الدّنيا من كونه من أهل الجنّة أو من أهل النّار"، وهذا ينطبق على المتأخّرين منهم، أمّا المتقدّمون منهم فكانوا "من الأحزاب التي تكوّنت بسبب مسألة الإمامة والفتن التّابعة لقتل عثمان بن عفّان، فكانوا حزبا دينيا من جهة مبدئهم النّظري وحزبا سيّاسيّاً من جهة النّتائج العمليّة الصّادرة عن ذلك المبدأ"، ومن شعرائهم: "محارب بن دثار السَّدوسي (ت116هـ)"، و"ثابت قطنة

[1] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص244.
[2] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب البعربية، ص245.
[3] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص246.

الأسدي"، وهو أحد الفرسان الشّجعان، له شعر كثير في المغازي والحماسة والرّثاء والهجاء[1].

لقد عدل المرجئة عند تثبيت الدّول العبّاسيّة شوكتها عن آرائهم الدّينية والسيّاسية التي أصلها مسألة الإمامة، وتحوّلت إلى آراء كلاميّة عامّة متجرّدة عن علاقة ضرورية بمسائل الخلافة.[2]

شعراء الزّبيريين:

لقد قلّ شعراء هذه الفرقة، والذّين مدحوا مصعب بن الزّبير، ومن هؤلاء الشّعراء[3]:

عبيد الله بن قيس الرقيّات: شاعر قرشي متقدّم، مشهور بالغزل، كان يصحب "مصعبا ابن الزّبير" حتّى قتل (72هـ)، ثمّ استشفع إلى عبد الملك بن مروان فعفا عنه.

شعراء بني أميّة:

أمّا الأمويّون فلهم من الشّعراء المادحين لهم كثير، أشهرهم "الأخطل" المذكور سابقا، وهنا يذكر "نالينو" الشّعراء الذين تعصّبوا لبني أميّة في مسألة الخلافة، ودافعوا عنهم في أحقيّتهم بالحكم، مثل كعب بن جعيل، ومنهم أيضا[4]:

"أعشى بني ربيعة عبد الله بن خارجة" من سكّان الكوفة، "عبد الله بن الزَّبِيْر الأسدي"، "أبو العبّاس الأعمى السّائب بن فرّوخ" الذي مدح بني أميّة وكان مدحه يجري مجرى عرب الجاهليّة، ومن شعراء هذا الصّنف أيضا "يزيد بن ربيعة بن مفرِّغ الحميري".

---

[1] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص248.

[2] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص255-256.

[3] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص256.

[4] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية ص257-258.

يشير "نالينو" في هذا الصّنف إلى الشّعر الذي عبّر عن أسباب انحطاط الخلافة الأمويّة، غير الفتن والاختلافات السيّاسية والدّينية، وتبدأ هذه المرحلة من خلافة الوليد بن يزيد (135هـ) الذي كان منغمسا في الصّيد والملذّات وشرب الخمر، ومن هؤلاء[1]:

نصر بن سيّار (ت131هـ): أمير خراسان، وقد وصلنا من شعره ما يظهر التقلّبات السيّاسية وتغيّر المذاهب الدّينية وإهمال الخلفاء لأحوال النّاس في أواخر الخلافة الأمويّة، وما وقع بين النّزاريين واليمنيين، وازدياد قوّة الموالي، ونموّ الدّولة العبّاسية وغيرها.

لقد كثر سبي الأمويّين للفرس، فصار أولادهم موالي أهل الحجاز، وأخذ بعضهم يَنْظِم شعرا باللّغة العربيّة، ومشاركة اللّغة العربية هذه بين الفرس والعرب في قول الشّعر تخلّف تقلّبا في مضمون ذلك الشّعر، وأصبح شعر العرب شِعْر أُمَم إسلامية بلغة عربية، ومن الموالي العجم الذين نظموا الشّعر بلغة العرب نذكر: "موسى شَهَوَات" الذي نَظم في المديح والهجاء والتشبيب، وأيضا "محمّد بن يَسَار" و"زياد بن سَلْمى الأَعْجم" مولى عبد القيس، وقد كان جزل الشّعر فصيح الألفاظ[2].

لقد سلك بعض الأعاجم مسلك الشّعوبية، الذي يقدِّم العجم على العرب، ويفضّلهم عليهم، فيمدح ملوك الفرس والعجم ويفاخر بهم، ومن هؤلاء: "إسماعيل بن يسار النَّسائيّ" مولى بني تَيْم بن مُرَّة وكان مندّرا مليح الشّعر، شعوبيا شديد التَّعصّب للعجم، وقد تعاطى المديح والرّثاء والغزل، ولعلّه أوّل من استعمل العربيّة لتفضيل الفرس على العرب[3].

[1] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص261-262.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص263.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص264.

الصّنف السّابع: شعر أهل الحضر في مدن العراق والشّام:

لقد كان لبناء الخليفة "عمر ابن الخطّاب" للبصرتان (الكوفة والبصرة) غرضان: أوّلهما الحدّ من تأثير الفرس والعجم الذين يستقرّون بالمدائن والحيرة، والثّاني هو جعلها مقامات متوسّطة بين البدو والحضر ليعتاد الفاتحون العرب العيش فيها وألّا يعودا إلى ديارهم، ثمّ تحوّلت الكوفة إلى عاصمة للخليفة "عليّ بن أبي طالب"، وفي الخلافة الأمويّة مركزا لشيعته، وقد ازدهرت فيها الآدب واستقطبت الشّعراء، وأغلبهم ليس من حزب الأمويّين، الذين كرهوا دخول الشّام خوفا من أمرائها، فأقاموا بالعراق (البصرة والكوفة)، وقد كان للكوفيين منزلة خاصّة في تاريخ الشّعر العربي، وعرفت عندهم أنواع من الشّعر، الشّعر السيّاسي المذكور سابقا، والمراثي، الخمريات، الغزل والمديح[1].

لقد كانت الحيرة عاصمة اللّخميين، وقد اشتهر فيها النّصارى الذين كانوا يبيعون الخمر في الجاهلية، ويفد إليهم شّعراء أهل الوبر من الجزيرة العربية، من بلاد نجد، اليمامة والبحرين، فاستحسنوا رغد العيش وحسن القبول عند ملوك بني لخم بالحيرة وكثرة الحوانيت والخمّارات بها، وممَّن نزل بها من الفحول: "عديّ بن زيد"، "الأعشى"، "طرفة بن العبد" و" النّابغة الذبياني"، وقد تأثر الشّعراء العرب بأهل الحيرة، لهذا لا يُستغرب وصف الخمر ومدحه عند من نظم الشّعر في الكوفة والبصرة، وأيضا لحبّ الشّعراء الاحتذاء بالمتقدّمين من الفحول وأساليبهم وألفاظهم ومعانيهم[2].

كان الغَزَل عند أهل الحضر المترفين كالنّسيب عند أهل الباديّة، ومن الشّعراء المقيمين بالبصرة والكوفة ذكر: حارثة بن بدر الغدّاني وهو أحد من فرسان بني تميم، ولقد كانت أغلب أشعاره في الخمريات، وعمّار بن عمرو الملقّب ب" ذي كِناز" الذي كان ماجنا خِمِّيراً، وقد اتُّهم بالزندقة، ما وصلنا من شعره منسوج في الأعاريض القصيرة يدور كلّه

[1] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص270-271.

[2] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص272.

على المِزاح والخمر، ومنهم أيضا "حنَيْن بن بلوع الحيري" الذي كان شاعرا مغنِّياً، وشاعر آخر هو الأُقَيْشِر الأسدي" الذي كان يكثر من ذكر الشّراب والمِزاح والمجون، ومن الشّعراء المادحين والمتغزّلين "ابن خُرَيْم الأسدي"، والشّاعر "مالك بن أسماء بن خارجة الفزاريّ" وهو شقيق "هند" زوجة "الحجّاج بن يوسف"، له أشعار ظريفة في الغزل، والشّاعر "إسماعيل بن عمَّار بن عُيَيْنَة" الذي قال الشّعر في الرّثاء والمديح والهجاء والغزل، والفكاهات والخمر، ومنهم أيضا "الحَكَم بن عَبْدَل الأسديّ الأعرج" وقد كان شاعرا مُجِيدا خبيث اللّسان مدمن الخمر، وشعره كلّه في الهجاء والمجون والمديح[1].

لقد وصف "نالينو" الشّعراء السّابق ذكرهم أنّ كلّ واحد فيهم يمكن أن يطلق عليه شاعر خليع ماجن منهمك في شرب الخمر، أمّا الذين كانوا عفيفين عن الخمر فقد ذكر منهم: "المتوكّل بن عبد الله اللَّيْثي" الذي مدح "معاوية" و" يزيدا"، وقد تعاطى الهجاء وله أيضا أبيات في الحكم، ومن هؤلاء الشّعراء الكوفيين "الرَّمَّاد بن أبْرَد" له أشعار في المديح والنّسيب والهجاء، و" أبو كَلَدة بن عُبَيد اليَشْكُريّ" وهو شاعر كثير الغَزل والهجاء مُعَاقر للخمر، وأدرج شاعرا آخر لا يعرفه إن كان كوفيا أم لا، وهو "أبو الهنْدِيّ" الذي قيل عنه بأنّه "كان جزل الشّعر حسن الألفاظ لطيف المعاني"، عُرف عنه معاقرته للشّراب ووصفه[2].

بينما ينهي "نالينو" ذكر شعراء الحيرة ينتقل إلى شعراء أهل الحضر بالشّام، وأكّد أنّ نبوغ الشّعر في الأصقاع الإسلامية يختلف باختلاف أمرين[3]:

_ أوّلهما: ميل الخلفاء والسّلاطين والأمراء إلى استماع الأشعار، وتشهد عليه الحكايات والأخبار والأشعار في كتب الأدب والتّاريخ، والتي تذكر أشعارهم وحبّهم لسماع أشعار

[1] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص274-275.

[2] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص284.

[3] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص286-287.

الفحول، والمنادمة على الشّراب ومصاحبة الشّعراء واجتذابهم بالمكافآت، واستغلالهم أيضا للتأثير على النّفوس وتثبيت حكم بني أميّة، ومن هؤلاء الذين ذكرهم "مسكين الدّارمي" و" الأخطل" المذكور سابقا.

_ ثانيهما: أحوال البلاد من حيث العمران والرّفاهية والأخلاق والتقلّبات السيّاسيّة، وما في طبيعة أكثر النّاس من حُبِّ الفخر والتّقريظ والمدح، وقد قلّ من لم يجعل الشّعر متجرا للكسب منه، فمدحوا الخلفاء وأصحاب الحلّ والعقد ليُحصِّلوا منهم المكافآت والجوائز، وقد ذكر من قبل الشعراء الذين مدحوا بني أميّة ومنهم: "كَعْب بن جُعَيل"، المتوَكِّل اللّيثيّ".

وقد أوجز "نالينو" أسباب نبوغ الشّعر ونضارته في الشّام في خمسة نقاط[1]:

1_ ما هو مغروز في قلوب العرب الصّميم من الولوع بالشّعر منذ الزّمان القديم.

2_ ميل الخلفاء والأمراء الأمويّين إلى الشّعر وتعطّفهم على قائليه.

3_ محلُّ الأشعار وتأثيرها فيم يتَّصل بالأمور السيّاسيّة.

4_ حظوة المديح هند الخلفاء والولّاة.

5_ زيادة التّرف والرّفاهية التي يزيد بها نَفَاق أسواق الآداب.

وإجمالا فإنّ السبب وراء خمول الشّعر عند الحضر بالشّام هو أنّ أكثر الشّعراء بها كانوا من اليمن أو منتسبين لها، ارتحلوا إليها من جزيرة العرب، فلم يألْفوا عيشة الأمصار والإقامة بالمدن، فكانوا يحنّون إلى البادية والتعرّب، أمّا العراق فرحل إليها الأعراب وقسم من حضريّي الحجاز أيّام خلافة "علي بن أبي طالب" وابنه "الحسن" و" آل الزّبير"[2].

[1] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص292-293.

[2] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص294-295

لقد كانت الخمريات المتداولة عند شعراء الكوفة والبصرة امتدادا لجنس الخمريات المعروف عند شعراء الحيرة أو الوافدين إليها في العصر الجاهلي، كأنّها مذهب شعريٌّ متواتر لم يزل بها إلى أيّام الدّولة العبّاسيّة، أمّا الخمريات عند أهل الشّام فقد امتنعوا عنها إلّا لمجرّد الوصف أو التّشبيه[1].

كان أهل الشّام متوسّطين بين البداوة والحضارة، لما عُرف عن إقامة رؤساء قبائلهم تارة في المدر وتارة ينقلون مساكنهم من مكان إلى مكان آخر للدّفاع ضدّ غارات قبائل الأعراب فجمعت هذه المعسكرات المتنقّلة بين أحوال البادية وأحوال الحضارة، فبقي الشّعر بها على منوال الشّعراء النّوابغ من عصر الجاهلية وهذا راجع لسببين[2]:

_ ميل الخلفاء الأوّلين من بني أميّة إلى ذلك النّوع من الشّعر.

_ شدّة سلْطة معاوية بن أبي سفيان بالشّام، الذي حرّم شرب الخمر وصناعة الغناء.

وجد الشّعراء من حضر الشّام والحجاز الشّعر أسرع رواجا وأوسع شهرة وألذّ للنّفوس وأوقع في القلوب إذا غُنّي على آلات السّماع، وبهذا أثّر الغناء في تقلّب أفانين الشّعر، ولكنّه _أي الغناء_ قد مُنع في الشّام، وهذا سبب أيضا في قلّة الشّعراء من الحضر بأرض الشّام[3].

ذكر "نالينو" شاعرين اثنين في هذا القسم أيضا، أي قسم شعراء الشّام الذين مدحوا بني أميّة، ليوضّح مدى الفرق بين شعر الحضر بالشّام وشعرهم بالعراق والحجاز، وهما: عديٌّ ابن الرِّقاع، ونُصَيْب ابن رباح، حتّى إذا وصلنا إلى القرن الثّاني للهجرة وجدنا أنّ هذا الفرق قد اضمحلّ، فقد انقلبت الأوضاع في الشّام، واختلط بها العرب بالأعاجم، وزالت

[1] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص295.
[2] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص296.
[3] ينظر : **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص298

شدَّة الخلفاء، وانتشرت أنواع التَّرف، فجُلب الخصيان، وشُرب الخمر، وفَسَدت الأخلاق، فعمّت الشّام الأشعار في الخمر الغزل، ورئيس هؤلاء الشّعراء "الوليد بن يزيد"[1].

[1] ينظر: **كارلو نالينو**، تاريخ الآداب العربية، ص299-300.

نقد وتقويم:

من خلال اطّلاعنا على محتوى هذه المحاضرات التي ألقاها "نالينو" بالجامعة المصرية الأهلية، كان لا بدّ لنا أن نقدّم مجموعة من الملاحظات التي وقفنا عليها سواء أثناء تلخيص الكتاب أو دراسة بعض القضايا التي لمسنا فيها الأهميّة البالغة في الدّرس التّاريخي للأدب العربي، وتراوحت هذه الملاحظات بين جانبين: الجانب الشكلي، وجانب المضمون.

جانب المضمون: لا بدّ لنا أن نقرّ في هذا المقام أنّ الدّراسة التي قام بها "نالينو" والقضايا التي اختارها في هذا المؤلّف تتناسب مع عنوان الكتاب أو المحاضرات التي قام بتدريسها في الجامعة المصرية، كما تجدر الإشارة إلى تركيزه على بعض القضايا المخصوصة التي تطرّق إليها المؤلّف والتي طالما كانت محلّ تجاذبات بين الباحثين العرب، وها هو الآن يقدّمها لطلبته العرب في الجامعة المصرية على حسب ما يراه، وقد قام بدراستها ونقدها نقدا علميا معتمدا على المنهج العلمي الحديث في النّقد الأدبي.

جانب الشّكل: إذا نظرنا إلى الجانب الشّكلي والمنهجي من هذا الكتاب فأوّل ما يشدّ انتباهنا هو طريقة تّقسيم هذا العمل، فقد قام المؤلّف بترتيب الموضوعات التي تطرّق إليها بداية ترتيبا تاريخيا بداية من دراسته لمعنى لفظة الأدب ثمّ دراسة أحوال الآداب في الأعصر الأدبية المتعاقبة، والباحث في كتب المؤرّخين الذي جاءوا بعده يلاحظ أنّا أصبحت سنّة متّبعة في تصنيف الكتب المتخصّصة في دراسة التّاريخ الأدبي العربي، ولا بدّ لنا أيضا من ملاحظة التّفاوت بين صفحات التي خصّصها للقضايا وهذا حسب درجة الأهميّة التي يوليها المؤلّف للعصر أو القضية.

خاتمة

خاتمة:

إنّ البحث في تاريخ التّراث العربي بصفة عامّة والأدب العربي بصفة خاصّة يستلزم مجموعة من المناهج والآليات التي يمكن من خلالها التفتيش عن النّقاط المضيئة فيه، واستجلاء ما يزخر به من أشكال تعبيرية ونصوص أدبية التي لها من الأهميّة ما يمكنّها من إماطة اللّثام عن أحوال العرب الاجتماعية والثّقافية والدّينية.

بعد هذه الوقفة على نصوص هذه المحاضرات وعلى أهمّ القضايا التي جاءت فيها، خلصنا إلى مجموعة من النّتائج في ختام هذا العمل:

_ مثّل "كارلو نالينو" أحد التّيارين الذين سعيا إلى إعطاء المفهوم الأساس للفظة "أدب"، ممثّلا عن التّقاليد المعجمية الاستشراقية التي تبحث في التّراث العربي، في مقابل التيّار الذي يمثّله أصحاب المعاجم العربية التّراثية كابن منظور وابن فارس وغيرهم.

_ إنّ تقسيم الأعصر الأدبية عند مؤرّخي الأدب العربي بصفة عامّة لا يختلف كثيرا بين النّقاد والمؤرّخين العرب والمستشرقين، وقد كانت هذه الدّراسة العلمية التي قدّمها "نالينو" حول التاريخ الأدب العربي بمثابة السنّة التي حذا حذوها النّقاد، عربا كانوا أو مستشرقين في سياق دراستهم للتّراث العربي.

_ قسّم "نالينو" شعراء العصر الجاهلي إلى أقسام، اعتمد فيها على عاملين أساسين: الدّين والبيئة الاجتماعية التي عاش فيها الشّاعر سواء كان من أهل البادية والوبر أو من أهل الحضر والمدر، ومن كان متنقّلا بينهما.

_ تناول "نالينو" في عمله هذا إلى مجموعة من القضايا التي يدخل بعضها ضمن إطار المعتقدات الرّاسخة في الذهن العربي وعند النّقاد العرب نقدا، شرحا وتحليلا، نذكر منها: النّثر الجاهلي، المسائل المتعلّقة بالقرآن، الدّيوان المنسوب إلى عليّ ابن أبي طالب، أحداث الفتنة الكبرى ... الخ.

_ قسّم "نالينو" شعراء العصر الإسلامي إلى أربعة أقسام، ومعيار التّقسيم هنا موقفهم من الدّعوة النّبوية، ومن النّبي صلّى اللّه عليه وسلّم، وهي: شعراء مدح النّبي، شعراء الحاقدون على النّبيّ، الشّعراء الذين أسلموا ولم يهتمّوا بأمور الدّين، شعراء الفتوحات.

_ اعتمد "نالينو" في تقسيمه لشعراء العصر الأمويّ على عدّة معايير، البيئة الجغرافية التي كان يعيش فيها الشّعراء، الفتن والأحزاب السيّاسية، الفنون الشّعرية كالمراثي والأراجيز، الشّعر القصصي، وقد حظي هذا الباب على الحظّ الأوفر من كتاب "نالينو".

_ يبقى النّثر عند "نالينو" يمثّل هامشا في مقابل مركزية الشّعر، كما هي العادة عند المؤرّخين والنّقاد، وقد أشار إليه "نالينو" في كلّ الأبواب ما عدا العصر الأمويّ، حيث اكتفى بالشقّ الشّعري فقط.

في ختام هذا العمل، لا بدّ لنا أن نشيد بهذه الدّراسة التي قدّمها المستشرق "كارلو نالينو"، الذي كان علامة بارزة في مجال دراسة تاريخ الآداب العربية وعلم الفلك عند العرب والمسلمين، فضلاً عن دوره الكبير في تأصيل المناهج الحديثة التي تتبنّى المنهج العلمي في دراسة الأدب العربي.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر

_ ابن الأثير مجد الدين بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، المطبعة العثمانية، القاهرة، مصر، دط، 1398م، ج1.

_ الأخطل غياث بن غوث، الديوان، تح: أنطوان الصالحاني اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، دط، بيروت، 1891م.

_ إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، دط، 1985م، مجلد 1.

_ الأعشى ميمون بن قيس، الديوان، الصبح المنير في شعر أبي بصير، مطبعة آدلف هلزهوسن، بيانة، 1927م.

_ البغدادي عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997م، ج9.

_ الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، المطبعة العلمية، القاهرة، ط 1، 1311ه، ج2.

_ الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، مطبعة، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1965م، ج1.

_ جرير بن عطية بن الخطفى، الديوان، المطبعة العلمية، مصر، ط1، 1313ه.

_ حسان بن ثابت الأنصاري، الديوان، مطبعة المحمّدية، بومبي، الهند، دط، 1281ه.

_ الحصري إبراهيم بن علي القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، تح: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط1، ج1.

_ الحطيئة جرول بن أوس، الديوان، مطبعة التقدّم، مصر، تح: أحمد بن الامين الشنقيطي، دط، 1905م.

_ الخطيب التبريزي أبو زكريا يحي بن علي، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، مطبعة بولاق، القاهرة، ج3.

_ ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، المقدّمة، الجزء الأوّل من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، المطبعة الأدبية، بيروت، ط3، 1900م.

_ الزبيدي محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: هلالي علي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط2، 1987م، الجزء 2.

_ ابن سلّام الجمحي، طبقات فحول الشّعراء، تح: محمود محمد شاكر، د.ط، 1980م.

_ السيوطي جلال الدّين، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، تح: محمد علي البجاوي وآخرون، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ط، 1986م، ج2.

_ العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله، الصناعتين الكتابة والشعر، مطبعة محمود بك الآستانة، ط1، 1902م.

_ الغزالي أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدّين، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2005م، ج1.

_ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، طبعة بولاق، دط، دت، ج2.

_ القيرواني أبو علي الحسن بن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1907م، ج1.

_ كارلو نالينو، تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية،

_ المقري أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، تح: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1977م، الجزء 1.

ثانيا: المراجع:

_ أدونيس، كلام البدايات، دار الآداب، بيروت، ط1، 1989م.

_ حفني بك ناصف، تاريخ الأدب أو حياة اللّغة العربية، مجموع محاضرات ألقاها بالجامعة المصرية، مطبعة الجريدة بسراي البارودي، القاهرة، دط، 1909م-1910م.

_ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط 11، 1960م.

_ عمايرة إسماعيل أحمد، المستشرقون والمناهج اللّغوية، دار حنين، عمان، الأردن، ط2، 1992م.

_ عمر فرّوخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 4، 1981م، ج1.

_ كرد محمد علي، رسائل البلغاء، دار الكتب العربية الكبرى، مصر، ط2، 1913م.

_ مصطفى صادق الرّافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2000، ج1.

فهرس المحتويات

كلمة شكر	
الإهداء	
بطاقة فنّية	–
مقدّمة	أ
مدخل	02
الفصل الأوّل	
1_ لفظة "أدب"، المعنى الأصلي والمعاني المتعدّدة	13
2_ تعريف تاريخ الآداب	27
3_ تقسيم تاريخ الآداب	29
4_ الآداب العربية في العصر الجاهلي	33
5_ الآداب في صدر الإسلام	46
الفصل الثّاني	
1_ الغزل في مدن الحجاز	53
2_ النّسيب عند الأعراب	56
3_ الشعر على أسلوب فحول الجاهليّة	58
4_ شعر الفتن والأحزاب السيّاسيّة والدّينية	67
5_ شعر أهل الحضر في العراق والشّام	75
6- نقد وتقويم	81
خاتمة	83
قائمة المصادر والمراجع	86
فهرس المحتويات	90